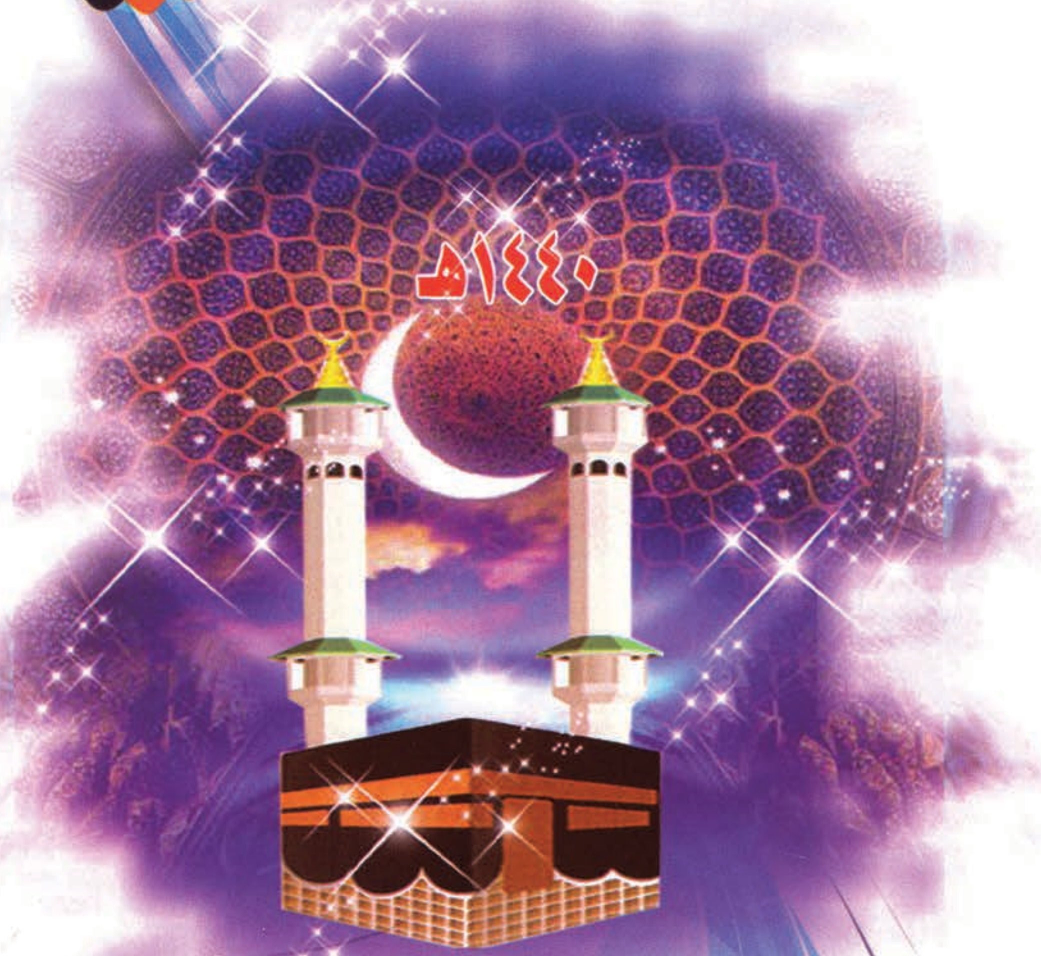
مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٦٥ السنة الثامنة والأربعون - المحرم ١٤٤٠ هـ
الثمن ٣ جنيهات

التوحيد

في وداع واستقبال عام..
عبرٌ واستلهام



العام الجديد وشهر الله المحرم

- الأوقات المنهي عن الصلاة فيها
- عام هجري وعام دراسي جديدان
- إعلام المسلمين والمسلمات بما جاء في العقارب والحيات



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

السلام عليكم

في عام هجري جديد !!
هَدَى الله تُجَّار الكلام

يعيش كثير من الناس على الكلام، ويرد عليهم غيرهم أيضًا بكلام، ويقبضون على ذلك الأموال الطائلة، وقد يكون كلامهم طعنًا في برءاء، وفتاوى للسمعة والرياء. فلم ينفعوا الناس بعلم ولا بتربية، ولا بنصيحة ولا بتنمية.

وقد ذكر الجاحظ قصة في عيِّنَة من هؤلاء أن رجلًا من خراسان كان يأكل في بعض المواضع إذ مر به عابر سبيل، فسلم عليه عابر السبيل، فرد الرجل السلام ثم قال: هَلُم (تعال) عافاك الله. فتوجه الرجل نحوه، فلما رآه صاحب الطعام مقبلاً قال له: مكانك ... فإن العجلة من الشيطان. فوقف الرجل، فقال له الخراساني: ماذا تريد؟ قال عابر السبيل: أريد أن أتغذى. قال له: ولمَ ذاك؟ وكيف طمعتَ في هذا؟ ومن أباح لك مالي؟ قال الرجل: أَوَليس قد دعوتني وقلتَ: هَلُم؟ قال: ويحك، لو عرفتُ أنك هكذا أحمق ما رددت عليك السلام؛ الأمر ببساطة هو أن أقول أنا: هلم، فتجيب أنت: هنيئاً، فيكون كلام بكلام. فأما كلامٌ بفعالٍ، وقولٌ بأكلٍ، فهذا ليس من الإنصاف.

التحرير

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام
WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد



سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.
٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

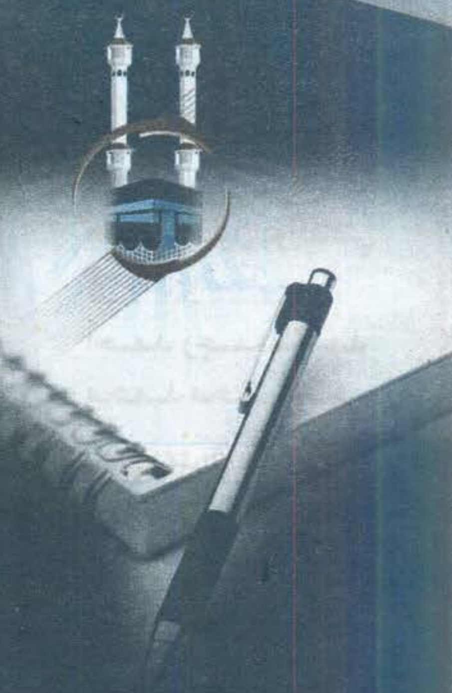
ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

افتتاحية العدد



في وداع واستقبال عام.. عبرٌ واستلهام

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

الحمد لله الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، وبعد:

فما كان لي أن أكتب هذا الباب، حفظ الله كاتبه، فأنا أقل من ذلك، فهي افتتاحية علماء ومشايخ الجماعة على مر العصور، ولكن بتكليف أبلغني إياه فضيلة الشيخ جمال عبد الرحمن من فضيلة الرئيس العام، بكتابة افتتاحية هذا الشهر، وهذا شرف لي، حيث يقضي فضيلة الرئيس العام فترة نقاهة بعد إجراء عملية جراحية، نسأل الله سبحانه أن يمن عليه بالعافية والخير.

أقول- وبالله تعالى التوفيق-:

في وداع عام هجري مضى، واستقبال عام جديد، نستلهم منه العِبَر والعظات، ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، ودَّعنا فيه من كان قريبًا منا يعيش بيننا ويشاركنا حياتنا، بحلوِها ومُرِّها، مما يجعلنا في يقظة وتأمل ونحن نودِّع عامًا رحل من بين أظهرنا سريعاً، نودعه بما أودعنا فيه من أعمال، وحل بنا عام جديد، يستوجب على الأمة وهي تودع عامها: التوبة والاستغفار والندم على ما فرطنا فيه، والعمل الصالح والاستعداد لما بعد الموت، فالأيام والليالي خزائن، وإن طلوع الشمس كل يومٍ من مشرقها، وغروبها من مغربها، لدليلٌ على سرعة الرحيل وعدم البقاء، وهكذا عمر الإنسان، بل والحياة كلها مآلها إلى زوال، فسبحان الملك القدير، سبحانه لا يزول ملكه.

البقية في العمر نعمة، أنعم الله بها علينا

ونحن نودِّع عامًا، ونستقبل عامًا من حياتنا، فـ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (الفرقان:٦١، ٦٢).

ونحن نودع عامًا بكلِّ مآسيه، ونستقبل عامًا نسأل الله سبحانه أن يكون عام خير وبركة وألفة ويقظة، نستقبل عامًا جديدًا من حياتنا نستلهم منه أن في العمر بقية للعمل، وفي الحياة فُسحة للمراجعة والمحاسبة، فهذه نعمة أنعم الله بها علينا لنتأمل ونتَّعظ، ففي الحديث عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَلِيٍّ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْآخَرِ فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً، ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِهِمَا فَخَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الْجَنَّةِ فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ. فَقَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ؛ فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ، فَعَجِبُوا لِذَلِكَ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا، ثُمَّ اسْتُشْهِدَ وَدَخَلَ هَذَا الْآخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَ وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ، قَالُوا: بَلَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ». (رواه ابن ماجه: ٣٩٢٥).

فعلينا أن نغتنم فرصة البقاء على هذه الدنيا وطول العمر مع الأعمال الصالحة، لنفوز ببشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُم مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ» (رواه الترمذي: ٢٣٣٠)، و«خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالًا» (رواه أحمد: ٧٢١١، وإسناده حسن).

ينبغي علينا أن نستقبل عامًا جديدًا نجدد فيه حياتنا، ونُغير ما بأنفسنا من علل وخَلل ونقص إلى ما هو أفضل، لنبدأ عامَنا بتوبة نصوح لربِّ البرية سبحانه، وهو يدعونا إليه بقوله: «تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (التحريم:٨).

وفي الحديث الشريف: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». (رواه مسلم: ٢٧٥٩).

فجلَّ العلي القدير أرحم الراحمين، لنعلم أن كل عامل سيقدم على عمله، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى آثار ما كسبت يداه، وإنما الأعمال بالخواتيم، والليل والنهار مطية العمر، فأحسنوا السير عليهما إلى الحياة الآخرة.

عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا

ومع انقضاء عام.. واستقبال عام يليه نتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: بأن الأمة ستتبع سنن من كان قبلها حذو القذة بالقذة، وحذو النعل بالنعل، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلته الأمة.

ومن تأمل نصوص السنة يلحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره أن تتشبه الأمة بأعداء الله، ويأمر بمخالفتهم، حتى إن اليهود أحسوا بهذا الأمر منه صلى الله عليه وسلم، فقالوا: «مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِنَا إِلَّا خَالَفَنَا». وكان صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يقول: «خالفوا اليهود.. خالفوا المشركين، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى».

ولقد أخبر الله سبحانه أن عدة الشهور عنده اثنا عشر شهرًا، فقال سبحانه وتعالى: «إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ» (التوبة:٣٦)، وجعل الطريق لمعرفة هذه الشهور رؤية الهلال، فقال جل شأنه: «يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ» (البقرة:١٨٩)؛ وجعلها مواقيت للناس جمعاء بلا تخصيص، لا فرق بين عرب وعجم؛ ذلك لأنها علامات محسوسة فقد دخل الشهر المستقبل، وانتهى الشهر الماضي، وبذلك عرفنا أن ابتداء التوقيت اليومي من غروب الشمس لا من زوالها، لأن أول الشهر يدخل بغروب الشمس، وأول الشهر هو أول الوقت، وهو الذي عليه مدار الأحكام الشرعية.

ومن هذه القاعدة نعلم أن التبعية لأعداء الله في هذا العصر قد شملت كثيرًا من أمور حياتنا، ومنها التوقيت والتواريخ، وما ذاك إلا صورة من صور الضعف والهوان الذي خيَّم على نفوس المسلمين في هذه الأزمان، بحيث أصبحوا مقودين بعد أن كانوا قادة، وأذلة بعد كانوا أعزة، كل ذلك بسبب ما اقترفته أيديهم من الذنوب.

ضياع قضايا المسلمين وتهميشها

إن عامًا جديدًا يُقبل بعد انتهاء عام حمل في طياته من أوجاع وآلام، وتفتيت وتقسيم لكل أجزاء الأمة وأوصالها، وعلى رأسها القضية المنسية، قضية الأمة: فلسطين والأقصى، وإن هذا الحق الضائع من أرض فلسطين وقُدسه الجريح لا ينال بدون تضحية أو ثمن، ولا ينال بالضعف والتخاذل، وإنما بإعداد العُدة، ومعالجة الأسباب التي أوصلتنا إلى الضعف والاستكانة، والعمل على إزالتها من قاموس مسيرة الأمة، واستجلاب الأسباب الجالبة للنصر والغلبة والعزة والتمكين؛ لأن قضايا الأمة العادلة، والحقوق المشروعة لا تُنال بالأقلام والأفلام، ولا بالأعلام والإعلام، ولا بالأماني والأحلام، وإنما تُنال بتغيير ما بالنفس من اعوجاج وانحراف، وإصلاح العقول والأفئدة، فالله سبحانه يقول: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ» (الرعد:١١).

إن ما حدث ويحدث من تسلُّط الأعداء على آحاد المسلمين وجماعتهم، واعتداء على كرامتهم ومقدساتهم، إنما هو بسبب الذنوب والمعاصي، «وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ» (الشورى:٣٠).

وبسبب الجهل بأحكام الدين وتعاليمه، والتبعية لأعداء الإسلام دون النظر للمعايير الشرعية في المحاكاة والمشابهة، فاختل عند أكثر المسلمين ميزان الولاء والبراء، وغابت معالمه، فزادوا الأمة فُرقة وتناحرًا، وأوقدوا بذلك نار العداوة والبغضاء!! فلا هم للإسلام نصروا، ولا لأعدائه كسروا، بل أعانوا أعداءه على تمزيق شمله وتفريق كلمته، وساعدوا على تمكين روح الانهزامية والشعور باليأس والقنوط، مع أن المولى سبحانه يقول: «وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»

(آل عمران:١٣٩).

فليس من الإسلام ما نحن فيه من جهل وتأخر وهوان، وليس منه ما يُنسب إليه حتى ينال من مكانته، وما رُميَ الإسلام بالتُّهَم وهوجِمَ صراحة إلا عندما تخاذل وتآمر عليه مَن يَنسبون إليه، فكانوا منفِّرين لا مبشِّرين، بدلاً من أن يُخلصوا لدينهم ولأمتهم وللناس أجمعين، ولو كان إيمانهم عن فهم واقتناع، لأنقذوا أنفسهم وأمتهم من متاهات التخبط والضياع، حتى صاروا ألعوبة بيد أعدائهم الذين آنسوا منهم عدم الحركة والعمل للدين!!

وإن ظلم الناس للناس، وإعانة الظالم على ظلمه، والسير في ركابه لأمر يُنكره الإسلام، فالله سبحانه لا يحب الظالمين، وحرَّم الظلم على نفسه، وحثنا ألا نتظالم، وبيَّن لنا رسولنا صلى الله عليه وسلم أن الظلم ظلمات يوم القيامة.

أحوال المسلمين في زمن الغربة

نستقبل عامًا هجريًا جديدًا نرجو فيه الخير لأمة الإسلام، فإنك ترى الأمة وقد توالت عليها النكبات، وأثقلتها الجراحات، وأقعدتها عن السير العثرات، وهانت على نفسها حتى تجرأ عليها من تجرأ، وتداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، لا من قلة، ولكنه الغثاء كغثاء السيل!!

إنها الغربة التي ذكرها نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم في قوله: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» (رواه مسلم: ١٤٥).

ولئن كانت الغربة مقدمة للنهضة، وجزءًا من قانون التغيير، ومحفزًا للهمم والإرادات، إلا أن ذلك مشروطًا بأن يقترن بالعمل الصالح البناء، المتفائل بالمستقبل، لا أن تتعامل مع هذه الغربة باعتبارها قدرًا محتومًا لا رادَّ له ولا مفرَّ منه.

في توالي الأعوام عبر وعظات وتذكرة

رحيل عام يخلف وراءه الكثير من الآلام، وكثيرًا من الجراحات، وفي توالي الأعوام عبَرٌ وتذكرة للمتقين، وفي أفُول الأزمنة آيات للمتبصرين، والعاقل من جعل هذه الآيات سبيلاً للتفكر، وميدانًا رحبًا للتبصر.

ووضع التاريخ الهجري بداية من شهر الله المحرم إنما هو تاريخ اصطلح عليه صحابة النبي صلى الله عليه وسلم لضبط استقلال ذاتية الأمة بتاريخ خاص يميزها عن غيرها، ولكنه في الوقت ذاته حدثٌ يتذكر به الإنسان، وأنه إيذانٌ بانقضاء الزمان، وذهاب الآجال، وزوال الدنيا ونهاية الأعمار، ولكن لما رانت الغفلة على القلوب، وأثقل حب الدنيا كواهل النفوس ركن الناس لها، وظنوا أنهم فيها خالدون.

فالناصح لنفسه من عرف حقيقة الدنيا، ولم يركن إليها، بل جعلها سبيلاً للفوز بالنعيم المقيم في جنة رب العالمين.

فليس الإيمان بالتمني، ولا بالتحلي، وإنما بالتوبة والندم على ما مضى من الذنوب، والإنابة إلى الله بإصلاح العمل ومراقبة النفس دومًا، فحققوا أيها المسلمون الإيمان والتوبة، فإنكم في زمان الإمكان والإمهال.

واعتبروا واعلموا أن كل ما هو آت قريب، وأن كل موجود زائل فقيد، فابتدروا الأعمال قبل الزوال، ولات حين مندم.

فاللهم إنا نسألك من الخير عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

الأوقات المنهي عن الصلاة فيها

الحلقة الرابعة

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فقد تكلمنا في الحلقات السابقة عن الأوقات المنهي عن الصلاة فيها، فذكرنا الأحاديث التي ورد النهي فيها عن أداء الصلاة في هذه الأوقات، ثم تكلمنا عن الحكمة من النهي عن الصلاة في هذه الأوقات، ثم بينا أن هذه الأوقات اختلف العلماء فيها في موضعين: أحدهما: في عددها، والثاني: في الصلوات التي يتعلق النهي عن فعلها، ثم تكلمنا عن نوع الحكم المستفاد من النهي عن أداء الصلاة في هذه الأوقات، ثم تكلمنا عن الصلاة المفروضة في هذه الأوقات، ثم تكلمنا عن النهي عن الصلاة في وقت الزوال، بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر، فتكلمنا

أولاً: عن تعلق النهي عن الصلاة بعد طلوع الفجر وبعد صلاة العصر، ونكمل في هذه الحلقة الحديث:

ثانيًا: عن حكم الصلاة بعد طلوع الفجر وبعد صلاة العصر:

اختلف أهل العلم في الصلاة بعد العصر وبعد الفجر، فذهب الجمهور إلى أنها مكروهة ، وادعى النووي الاتفاق على ذلك، وتعقبه الحافظ بأنه قد حكى عن طائفة من السلف الإباحة مطلقًا وأن أحاديث النهي منسوخة، فقال: وبه قال داود وغيره من أهل الظاهر وبذلك جزم ابن حزم، وقد اختلف القائلون بالكراهة، فذهب الشافعي إلى أنه يجوز من الصلاة في هذين الوقتين ما له سبب، وذهب أبو حنيفة إلى كراهة التطوعات في هذين الوقتين مطلقًا. (نيل الأوطار، للشوكاني ٣/١٠٦).

استثناء الصلاة بعد العصر:

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

ما ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين بعد العصر عندي قط. (أخرجه مسلم: ١٣٥).

وجه الدلالة أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم يدل على الجواز:

وأجيب عن هذا بأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم للركعتين بعد العصر من خصائصه صلى الله عليه وسلم؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن أشياء ويفعلها لأنها مما اختص به عن الأمة، فقد كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن الوصال في الصوم ويواصل صلى الله عليه وسلم اليوم. (انظر: المبدع في شرح المقنع، لإبراهيم بن مفلح الحنبلي ٢/٤٠).

ومما يؤيد قضية الاختصاص ما روى أبو سلمة أنه سأل عائشة عن السجدتين اللتين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليهما بعد العصر، فقال: كان يصليهما قبل العصر، ثم إنه شغل عنها أو نسيها فصلاهما بعد العصر، ثم أثبتها وكان إذا صلى صلاة أثبتها. (أخرجه مسلم: ٨٣٥).

ومما ورد عن كريب: أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن أزهر رضي الله عنهم أرسلوه إلى عائشة رضي الله عنها، فقالوا: اقرأ عليها السلام منا جميعًا وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر وقل لها: أنا أخبرنا أنك تصلينها، وقد بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها، وقال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب، فقال كريب: فدخلت على عائشة رضي الله عنها فبلغتها ما أرسلوني به فقالت: سل أم سلمة فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ثم رأيته يصليها حين صلى العصر، ثم دخل وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار فأرسلت إليه الجارية فقلت: قومي بجنبه قولي له



تقول لك أم سلمة يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين وأراك تصليهما؟ فإن أشار بيده فاستأخري عنه ففعلت الجارية، فأشار بيده فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال: «يا بنت أبي أمية، سألت عن الركعتين بعد العصر وإنه أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان». (أخرجه البخاري: ١١٧٦).

واستدلوا بما ورد عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد العصر إلا والشمس مرتفعة. (أخرجه أبو داود: ١٢٧٤، وصححه الألباني).

ووجه الدلالة أن النهي عن الصلاة بعد العصر متعلق بارتفاع الشمس، فدل على جواز الصلاة بعد العصر إذا كانت الشمس مرتفعة بالمفهوم.

وأجيب عن هذا بأن الحديث يدل على جواز الصلاة بعد العصر إذا كانت الشمس مرتفعة بالمفهوم والأحاديث الأخرى دلت على المنع بمنطوقها، والمنطوق مقدم على المفهوم.

واستدلوا أيضا بما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «وهم عمر، إنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُتحرى طلوع الشمس وغروبها». (أخرجه مسلم: ٨٣٣).

وجه الدلالة استدراك عائشة رضي الله عنها على عمر رضي الله عنه النهي عن الصلاة بعد العصر وأن النهي متعلق بتحري الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها.

وأجيب عن هذا بأن قول عائشة رضي الله عنها في رد خبر عمر رضي الله عنه غير مقبول؛ لأنها لعلها قالت ذلك برأيها، ولأن عمر رضي الله عنه مثبت لروايته عن النبي صلى الله عليه وسلم وثابت من طريق جماعة من الصحابة، فلا اختصاص له بالوهم وهم مثبتون وناقلون للزيادة، فروايتهم مقدمة، وعدم علم عائشة لا يستلزم العدم، فقد علم غيرها بما لا تعلم، وعلى القول بروايتها أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما نهى أن يُتحرى طلوع الشمس وغروبها؛ فإن أكثر ما فيه إثبات في هذين الوقتين والنهي عن العصر ثبت بالأحاديث الأخرى. (نيل الأوطار، للشوكاني ١٠٦/٣).

استثناء الصلاة بعد العصر:

واستدل أصحاب هذا القول بما يأتي:

عن يزيد بن الأسود قال: شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم حجته فصليت معه صلاة الصبح في مسجد الخيف، فلما قضى صلاته انحرف، فإذا هو برجلين في أخرى القوم ولم يصليا، فقال: عليَّ بهما، فجيء بهما ترعد فرائصهما، فقال: ما منعكما أن تصليا معنا، فقالا: يا رسول الله، إنا كنا قد صلينا في رحالنا، قال: فلا تفعلا، إذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم، فإنها لكما نافلة. (رواه الخمسة إلا ابن ماجه)، وفي لفظ لأبي داود: «إذا صلى أحدكم في رحله ثم أدرك الصلاة مع الإمام فليصلها معه فإنها له نافلة».

وجه الدلالة أن الحديث يدل على مشروعية الدخول مع الجماعة بنية التطوع لمن كان قد صلى تلك الصلاة، وإن كان الوقت وقت كراهة؛ فهذا تصريح بعدم الفرق بين وقت الكراهة وغيره بأن ذلك كان في صلاة الصبح، فيكون هذا مخصصًا لعموم الأحاديث القاضية بكراهة الصلاة بعد الصبح. (انظر: نيل الأوطار للشوكاني ١١٣/٣).

وأجيب عن هذا بأن هذا الخبر معارَض بخبر النهي عن النفل بعد الصبح والعصر وهو مقدم لزيادة قوته؛ لأن المانع مقدم أو يحمل على ما قبل النهي؛ جمعًا بين الأدلة. (انظر: فيض القدير للمناوي ٣٩١/١).

قال ابن الهمام: «الصارف للأمر من الوجوب جعلها نافلة والجواب هو معارض بما تقدم من حديث النهي عن النفل بعد العصر والصبح، وهو مقدم لزيادة قوته؛ ولأن المانع مقدم أو يحمل على ما قبل النهي في الأوقات المعلومة جمعًا بين الأدلة، وفيه حديث صريح أخرجه الدارقطني عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا صليت في أهلك ثم أدركت فصلها إلا الفجر والمغرب». قال عبد الحق: تفرد برفعه سهل بن صالح الأنطاكي وكان ثقة، وإذا كان كذلك فلا يضر وقف من وقفه لأن زيادة الثقة مقبولة فإذا ثبت هذا فلا يخفى وجه تعليل إخراجه الفجر مما يلحق به

العصر. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري ٤/٢٦٩).

واستدل أصحاب هذا القول أنه يجوز من الصلاة في هذين الوقتين ما له سبب بما ورد عن أبي قتادة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين». (رواه الجماعة).

قال النووي: وفيه استحباب التحية في أي وقت دخل وهو مذهبنا، وبه قال جماعة وكرهها أبو حنيفة والأوزاعي والليث في وقت النهي، وأجاب أصحابنا أن النهي إنما هو عما لا سبب له؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بعد العصر ركعتين قضاء سنة الظهر فخص وقت النهي وصلى به ذات السبب ولم يترك التحية، في حال من الأحوال، بل أمر الذي دخل المسجد يوم الجمعة وهو يخطب فجلس أن يقوم فيركع ركعتين مع أن الصلاة في حال الخطبة ممنوع منها إلا التحية فلو كانت التحية تترك في حال من الأحوال لتركت الآن لأنه قعد وهي مشروعة قبل القعود ولأنه كان يجهل حكمها، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قطع خطبته وكلمه وأمره أن يصلي التحية، فلولا شدة الاهتمام بالتحية في جميع الأوقات لما اهتم عليه السلام هذا الاهتمام. (شرح مسلم ٥/٢٢٦).

وأجيب بأنه قد تعارض في المقام عمومات النهي عن الصلاة في أوقات مخصوصة من غير تفصيل والأمر للداخل بصلاة التحية من غير تفصيل فتخصيص أحد العمومين بالآخر تحكم، وكذلك ترجيح أحدهما على الآخر مع كون كل واحد منهما في الصحيحين بطرق متعددة، ومع اشتمال كل واحد منهما على النهي أو النفي الذي في معناه. (انظر: نيل الأوطار للشوكاني ٣/٨٢).

واستدل أصحاب القول بالكراهة مطلقًا بأحاديث النهي، حيث دلت على النهي عن الصلاة في هذه الأوقات، ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «شهد عندي رجال مرضيون وأرضاهم عندي عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس وبعد العصر حتى تغرب». (رواه البخاري).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاتين؛ بعد الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب. (رواه البخاري).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس، ولا بعد العصر حتى تغيب الشمس». (رواه البخاري).

قال ابن دقيق العيد في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة»: صيغة النفي إذا دخلت في ألفاظ الشارع على فعل كان الأولى حملها على نفي الفعل الشرعي لا الحسي لأنا لو حملناه على نفي الحسي لاحتجنا في تصحيحه إلى إضمار، والأصل عدمه، وإذا حملناه على الشرعي لم نحتج إلى إضمار، فهذا وجه الأولوية وعلى هذا فهو نفي بمعنى النهي والتقدير: لا تصلوا. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١/١٨١).

وأجيب عن هذا بأن الأحاديث القاضية بكراهة الصلاة بعد صلاة العصر والفجر عامة فما كان أخص منها مطلقًا كحديث يزيد بن الأسود وابن عباس، وحديث علي المتقدم، وقضاء سنة الظهر بعد العصر وسنة الفجر بعده للأحاديث المتقدمة في ذلك، فلا شك أنها مخصصة لهذا العموم، وما كان بينه وبين أحاديث الباب عموم وخصوص من وجه كأحاديث تحية المسجد، وأحاديث قضاء الفوائت، وقد تقدمت، والصلاة على الجنازة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «يا علي، ثلاث لا تؤخرها: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت...» الحديث أخرجه الترمذي، وصلاة الكسوف لقوله صلى الله عليه وسلم: «فإذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة». والركعتين عقب الظهر لحديث أبي هريرة، وصلاة الاستخارة، وغير ذلك، فلا شك أنها أعم من أحاديث الباب من وجه، وأخص منها من وجه، وليس أحد العمومين أولى من الآخر بجعله خاصًا لما في ذلك من التحكيم والوقف هو المتعين حتى يقع الترجيح بأمر خارج. (نيل الأوطار، للشوكاني).

وللحديث بقية إن شاء الله.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ

باب التفسير

الحلقة الحادية عشرة

قال تعالى: « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ » (محمد: ٢٤-٢٦).

إعداد: د. عبدالعظيم بدوي

ومما تضمنته هذه الآية الكريمة من التوبيخ والإنكار على من أعرض عن تدبر كتاب الله جاء موضحا في آيات كثيرة:

قال تعالى: « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا » (النساء: ٨٢)، وقال تعالى: « كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ » (ص: ٢٩).

وقد ذم- جل وعلا- المعرض عن هذا القرآن العظيم في آيات كثيرة:

قال تعالى: « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا » (الكهف: ٥٧)، وقال تعالى: « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ » (السجدة: ٢٢).

ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم أي تصفحها وتفهمها، وإدراك معانيها والعمل بها، فإنه معرض عنها، غير متدبر لها، فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات، إن كان الله أعطاه فهما يقدر به على التدبر، وقد شكا النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه من هجر قومه هذا القرآن، كما قال تعالى: « وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا » (الفرقان: ٣٠).

وهذه الآيات المذكورة تدل على أن تدبر القرآن وتفهمه وتعلمه والعمل به، أمر لا بد منه للمسلمين.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن المشتغلين بذلك هم خير الناس؛ فعن عثمان بن عفان رضي الله

عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (صحيح البخاري ٥٠٢٧)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ» (آل عمران). (أضواء البيان ٢٥٦/٧و٢٥٧).

فعلى المسلمين أن يقدروا القرآن الكريم حق قدره، وأن يتلوه حق تلاوته، وأن يهتموا به قراءة وفهما وعملا وتعليما، فإن ذلك عاصمهم من الضلال، كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (آل عمران: ١٠٠-١٠١).

قَالَ قَتَادَةُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَمَانِ بَيِّنَانِ: كِتَابُ اللَّهِ وَنَبِيُّ اللَّهِ، أَمَّا نَبِيُّ اللَّهِ فَقَدْ مَضَى، وَأَمَّا كِتَابُ اللَّهِ فَأَبْقَاهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً. (جامع البيان: ٢٦/٤).

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُهُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فتمسكوا بكتاب الله تعالى وَخُذُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَيْهِ وَرَغَّبَ فيه، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي». (صحيح مسلم ٢٤٠٨).

قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ»:

يقول تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم» أي رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر، وهم المنافقون، وُصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الأفعال والأحوال «مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى» بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة (إرشاد العقل السليم: ٩١/٦)؛ «الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ» أي زيّن لهم سوء أعمالهم، كما سبق في قوله تعالى: «أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم» (محمد: ١٤).

واختلف القراء في قوله تعالى: «وَأَمْلِي لَهُمْ» فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْكُوفَةِ بِفَتْحِ الْأَلِفِ مِنْهَا بِمَعْنَى: الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ، وَاللَّهُ أَمْلَى لَهُمْ. أو: وَأَمْلَى الشَّيْطَانُ لَهُمْ، أي مَدَّ لَهُمْ فِي الأمل. وَقَرَأَ مُجَاهِدُ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُ (وَأُمْلِي) بِضَمِّ الْأَلِفِ وَإِرْسَالِ الْيَاءِ عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ. (جامع البيان: ٥٩/٢٦).

وَالْمَعْنَى: الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ أَيْ سَهَّلَ لَهُمُ الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِيَ، وَزَيَّنَ ذَلِكَ وَحَسَّنَهُ لَهُمْ، وَاللَّهُ- جَلَّ وَعَلَا- أَمْلَى لَهُمْ: أَيْ أَمْهَلَهُمْ إِمْهَالَ اسْتِدْرَاجٍ.

وَكَوْنُ التَّسْوِيلِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالْإِمْهَالِ مِنَ اللَّهِ، قَدْ تَشْهَدُ لَهُمْ آيَاتٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ» (الأنفال: ٤٨)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: «تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النحل: ٦٢)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ» (إبراهيم: ٢٢)، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ» (الأعراف: ١٨٢- ١٨٣)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ» (آل عمران: ١٧٨)، ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: «قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا» (مريم: ٧٥)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً

فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ» (الأنعام: ٤٤)، وقوله تعالى: «ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» (الأعراف: ٦٥)، وقوله تعالى: «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ» (المؤمنون: ٥٥-٥٦)، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة. (أضواء البيان (٧/٣٨٠و٣٨١)).

قال تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ»:

أي «ذلك» التسويل والإملاء المفضي إلى الكفر بسبب أنهم يعني المنافقين «قالوا للذين كرهوا ما نزل الله» وهم اليهود «سنطيعكم في بعض الأمر» أي في مخالفة محمد والتظاهر على عداوته، والقعود عن الجهاد معه وتوهين أمره. ويؤيد كون القائلين المنافقين، والكارهين اليهود، قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» (الحشر: ١١).

ولما كان قولهم المذكور للذين كرهوا ما أنزل الله بطريقة السر بينهم قال الله سبحانه: «والله يعلم إسرارهم» أي: والله يعلم إسرار هذين الحزبين المتظاهرين من أهل النفاق، على خلاف أمر الله وأمر رسوله، إذ يتسارون فيما بينهم بالكفر بالله ومعصية الرسول، ولا يخفى عليه ذلك ولا غيره من الأمور كلها.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة (أسرارهم) بفتح الهمزة، جمع سر، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة «إسرارهم» بكسر الهمزة، على أنه مصدر من: أسررت إسرارًا.

وهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب (انظر: جامع البيان(٢٦/٥٩)، معالم التنزيل(٥/١٦١)، الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٥٠)، فتح القدير للشوكاني (٥/٤٧)).

قال تعالى: «فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ»

أي كيف يكون حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم، وتعصت الأرواح في أجسادهم، واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب، كما قال سبحانه وتعالى: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» (الأنفال: ٥٠)، وقال تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ» أي بالضرب «أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ» (الأنعام: ٦٣).

والاستفهام عن حالهم مستعمل في معنى تعجيب المخاطب من حالهم عند الوفاة، وهذا التعجيب مؤذن بأنها حالة فظيعة غير معتادة، إذ لا يتعجب إلا من أمر غير معهود، والسياق يدل على الفظاعة (التحرير والتنوير(٢٦/١١٨)).

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم حالهم هذه أروع بيان: عن البراء بن عازب قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر». مرتين أو ثلاثا ثم قال «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس.. الخ.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



الحلقة الثانية

معوقات التطبيق المعاصر للاقتصاد الإسلامي

إعداد د. حسين حسين شحاتة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: تناولنا في العدد الماضي ذكر بعض معوقات التطبيق المعاصر للاقتصاد الإسلامي، وذكرنا منها الأمية الاقتصادية، ومن مسبِّبات هذه الأمية الاقتصادية ما يلي:

- الأمية الدينية وجهل المسلمين بالإسلام ويرون أنه دين عبادات ومناسك ولا علاقة له بحركة الحياة.

- خلو مناهج التعليم في معظم المراحل من علوم الاقتصاد الإسلامي والاهتمام بعلوم الاقتصاد الوضعي، ويطلق على ذلك سياسة التغريب.

- سيطرة الثقافة الغربية على برامج الإعلام، ويكاد يكون خالياً من أي إشارة إلى الاقتصاد الإسلامي.

- تأسيس البنيات والمؤسسات الاقتصادية والمالية والنقدية على المفاهيم والأسس الاقتصادية الوضعية والتي قد تتعارض بعضها مع ما يناظرها في الاقتصاد الإسلامي.

- يحكم المعاملات والأنشطة الاقتصادية قوانين ولوائح ونظم وضعية.

- الافتراءات على الشريعة الإسلامية ومن محاورها فقه الاقتصاد الإسلامي.

ومن الآثار السلبية للأمية في مجال الاقتصاد الإسلامي:

- عدم موافقة بعض الحكومات العربية والإسلامية على إصدار قوانين أو قرارات لتطبيق الاقتصاد الإسلامي أو إنشاء مؤسسات له.

- الانبهار بنماذج الاقتصاد الوضعي ونقلها بسلبياتها إلى الدول العربية والإسلامية، وظهر ما يسمى الاقتصاد هو الاقتصاد فلا يوجد اقتصاد إسلامي وآخر كافر.

- هيمنة المؤسسات الاقتصادية العالمية على اقتصاديات الدول العربية والإسلامية.

- انتشار العلمانية الاقتصادية وتقوية مفاهيمها وأسسها وتجاهل ما في التراث الاقتصادي الإسلامي من مفاهيم وأسس.

ويتطلب معالجة الأمية الاقتصادية الإسلامية ما يلي:

- إعادة النظر فيما يدرس في مراحل التعليم وتطهيره مما يتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية بصفة عامة، والاهتمام بعلوم الاقتصاد الإسلامي في الكليات والمعاهد ذات العلاقة بالمال

والاقتصاد ونحو ذلك، وبلغة أخرى أسلمة علوم الاقتصاد الإسلامي في واقع الحياة.

- الاهتمام بالتبليغ والدعوة إلى مفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي في وسائل الإعلام المختلفة حتى يمكن نشر ثقافته وتنمية الحس الاقتصادي الإسلامي.

- تنقية القوانين والقرارات والمراسيم والتعليمات الحكومية من كل ما يتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية بصفة عامة، والاقتصاد الإسلامي بصفة خاصة.

- إنشاء المؤسسات والوحدات الاقتصادية الإسلامية لتساعد في تطبيق الاقتصاد الإسلامي.

ثالثاً: انتشار الفكر الاقتصادي العلماني في الدول العربية والإسلامية.

لقد واجه الفكر الإسلامي تحديات عديدة لإقصائه عن حلبة الحياة، ومن بين هذه التحديات فصل الدين عن الدولة باسم العلم تارة، وباسم المادية تارة أخرى، وباسم الدنيوية مرة أخرى... ويطلق على ذلك كله مصطلح العلمانية (بكسر العين وتسكين اللام) وتعني إدارة شئون الحياة جميعاً على غير الدين.

ومن المفاهيم العلمانية السائدة في هذا المقام: "أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، "الدين لله والوطن للجميع"، "فصل الحياة الزائلة عن الحياة الآخرة الباقية الخالدة"، ولقد ساعد على انتشار هذه المفاهيم في الدول العربية والإسلامية الاستعمار الذي تسلط وهيمن على ثرواتها وخيراتها، والحملات التبشيرية والمستشرقون وأصحاب الفكر العقلاني والبعثات التعليمية إلى الجامعات الغربية.

ولقد تسلل الفكر العلماني إلى كافة نواحي الحياة في البلاد العربية والإسلامية ومنها: نظام الحكم، ونظام التعليم، ونظام التربية، ونظام الثقافة، ونظام الاقتصاد، ونظام المال، ونحو ذلك.

ولقد أخذ الفكر العلماني في مجال الاقتصاد مناحي عديدة منها على سبيل المثال ما يلي:

- النظام الربوي بكافة صوره وأشكاله ومؤسساته في دول الغرب.

- الفوائد المصرفية وفوائد التوفير والادخار وما في حكم ذلك.

- نظم التأمين القائمة على الغرر والجهالة والربا.

- مسابقات اليانصيب والقمار وهي من الميسر المحرم شرعاً.

- الضرائب الظالمة التي يطلق عليها المكوس.

ولما ظهرت بوادر تطبيق الاقتصاد الإسلامي، وقف أنصار الفكر الاقتصادي العلماني موقف التحدي والعقبة الكؤود في سبيل تطبيق مفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي وبنياته الأساسية، بل التخطيط لضرب هذه المؤسسات من الداخل، والتعاون مع الصهيونية والصليبية، وأسست منظمات وهيئات ومراكز لتوجيه الانتقادات والافتراءات على الاقتصاد الإسلامي.

والسبيل لمواجهة تحديات الفكر الاقتصادي العلماني وصدوده عن تطبيق مفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي ما يلي:

- التأكيد بالأدلة القطعية الثابتة والدامغة على أن الإسلام دين شامل ومنهج حياة، وأن شريعته تجمع بين الثبات والمرونة، والأصالة والمعاصرة، وأنها صالحة لكل زمان ومكان.

- تقديم قرائن قطعية الدلالة والثبوت من مصادر الشريعة الإسلامية (القرآن والسنة والإجماع) بأهم القواعد الكلية للاقتصاد الإسلامي.

- عرض نماذج من استفادة الغرب من مفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي في صدر الدولة الإسلامية.

- عرض نماذج تطبيقية لمفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي من التراث الإسلامي.

- إبراز الحضارة الإسلامية في مجال الاقتصاد.

- عرض نظرة الاقتصاد الإسلامي إلى المشكلات الاقتصادية المعاصرة، وتميزه عن النظم الاقتصادية الوضعية في بيان المعالجات السليمة لها.

- بيان أن سبب تأخر البلاد العربية والإسلامية في مجال الاقتصاد يرجع إلى انحرافهم عن تطبيق شرع الله..

- تقديم نماذج تطبيقية سليمة معاصرة لمفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي.

رابعاً: النماذج الخاطئة لتطبيق الاقتصاد الإسلامي:

لقد حاول بعض رجال الأعمال والحركات الإسلامية تطبيق مفاهيم وأسس الاقتصاد الإسلامي في صورة كيانات ومنشآت وشركات، ولقد نجحت بعض هذه النماذج وأصبحت قدوة على الطريق يقتفى بأثرها في مزيد من التطبيقات، ومنها على سبيل المثال المصرفية الإسلامية، وصناديق الاستثمار

الإسلامي، وصناديق الزكاة، ومؤسسات التأمين التكافلي، وعلى الوجه الآخر فشلت أو أفشلت بعض النماذج التي اعتبرها البعض قرينة إثبات ضد الاقتصاد الإسلامي في مجال التطبيق.

ومن النماذج التطبيقية السلبية للاقتصاد الإسلامي على سبيل المثال:

- نماذج شركات توظيف الأموال في بعض البلاد العربية والإسلامية، والتي أفشلتها النظم الحاكمة بقصد الحرب ضد الإسلام.

- نماذج بعض رجال الأعمال الذين تاجروا بالمفاهيم الاقتصادية الإسلامية ليغنموا من وراء ذلك أرباحاً بدون حق، وسولت لهم أنفسهم بأكل أموال الناس بالباطل.

- نماذج لتصفية بعض المصارف الإسلامية أو تعثرها بسبب أخطاء إدارتها، أو بسبب المخططات الصهيونية والصليبية لها كما حدث لبنك التقوى الإسلامي.

- التدخل الأمني في شئون بعض الكيانات الاقتصادية الإسلامية لأسباب سياسية وضربها من الداخل والخارج كنوع من أنواع الحرب على الإسلام بزعم محاربة الإرهاب.

- الانحراف عن الالتزام بضوابط ومعايير الاقتصاد الإسلامي، وظهور بعض التطبيقات الخاطئة مما سببت العديد من الشبهات حول بعض الكيانات الاقتصادية الإسلامية.

وكان من آثار تلك السلبية ما يلي:

- التشكيك في صلاحية تطبيق الاقتصاد الإسلامي في عالمنا المعاصر.

- تجنب إنشاء أي كيانات اقتصادية ذات مرجعية إسلامية بدليل فشل بعضها.

- اتهام رجال الأعمال الذين يؤسسون كيانات اقتصادية إسلامية أنهم إرهابيون أو أنهم يمولون الإرهاب.

ومع وجود هذه السلبيات فإن هناك نماذج تطبيقية ناجحة، ويجب على فقهاء وعلماء الأمة أن يضعوا الحلول العملية لعلاج هذه السلبيات، وكذلك دعم وتنمية الإيجابيات، ولاسيما أن معظم هذه السلبيات ناجمة عن أخطاء الإنسان المنوط بالتطبيق.

خامساً: الهيمنة العالمية الأمريكية والغربية على ثروات الأمة العربية والإسلامية.

لقد استطاع الطواغيت في الدول الغربية وأمريكا بصفة خاصة من شن حروب شرسة على الدول العربية والإسلامية، تحت مظلة محاربة الإرهاب، ومن بين مآرب هؤلاء الطواغيت السيطرة على النفط والمال والأسواق ونحو ذلك، فهي هيمنة اقتصادية، ويقوم هؤلاء الطواغيت بتجنيد بعض الحكام وكذلك بعض أفراد الشعوب من المنافقين الذين في قلوبهم أمراض شتى لتنفيذ مخططاتهم لمحو أي أثر للشريعة الإسلامية.

ومن النماذج العملية المعاصرة لمخططات الدول الكبرى والهيمنة على ثروات الدول العربية والإسلامية ولاسيما في مجال الاقتصاد ما يلي:

- نموذج باكستان عندما خطى رئيسها السابق ضياء الحق بعض الخطوات نحو تطبيق الشريعة الإسلامية بصفة عامة في جميع نواحي الحياة ومنها الاقتصادية، وإنشاء المصارف الإسلامية، وإنشاء أقسام الاقتصاد الإسلامي في الجامعات كانت النتيجة هي اغتياله.

- نموذج السودان الذي أعلن عن تطبيق الشريعة الإسلامية، وإنشاء المصارف الإسلامية وشركات التأمين الإسلامي ونحو ذلك، استطاع الطواغيت من شن الحروب عليه من كل صوب، وما يحدث في الجنوب ودارفور ليس منا ببعيد.

- نموذج ماليزيا التي تسعى جاهدة في تطبيق الشريعة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي وما حدث في سوق الأوراق المالية فيها يبرز التدخل السافر للصهيونية والصليبية العالمية في ضرب اقتصادها.

- نموذج العراق، ورغبة أمريكا في المقام الأول السيطرة على النفط والمال.

- نموذج ضرب بنك التقوى في جزر البهامس تم بمخطط صهيوني وصليبي حاقد.

يتضح من النماذج السابقة أن الهيمنة العالمية الطاغية المستبدة تقف حجر عثرة في تطبيق الاقتصاد الإسلامي الذي من أهدافه أن تكون خيرات العرب والمسلمين للعرب والمسلمين، والواجب هو عدم الاستسلام بل الجهاد لتحرير اقتصاد الأمة، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال التعاون والتكامل بين كافة أقطار الدول العربية والإسلامية.

وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

ضوابط التعامل مع المخالف

إعداد/ أ.د. أحمد منصور سبالك

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ: أيها القارئ الكريم: أسعد الله تعالى أوقاتكم بكل خير، وجعل كل أيام السنة أعيادًا تمر عليكم في شتى بقاع الأرض بخير وفضل وسلام.

فقد مرّ بنا موقف عظيم وهو وقفة عرفات وما يلحق بها، قبلها وبعدها، ومن المعلوم والمقرر أن في مثل هذه الأحكام يكون ثمة أحكام خاصة بهذه الأيام، ومن المعلوم أيضًا أن هذه الأيام خاصة يكثر الجدال بين الناس لا سيما والذين هم في المناسك.

كنا نستغرب قديمًا لقول الله تعالى: «وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ» (البقرة: ١٩٧)، كيف يكون الإنسان في الحج ويُكثر من الجدال؟!

إلى أن أنعم الله علينا بالحج فلمسنا بأنفسنا هذا الجدال في هذه البقاع المباركة، وفي هذه الأيام الطيبة.

والسؤال القائم: من يحسم هذا الجدال؟

لما وقفت مع هذا السؤال في الوقت الذي ما زلنا نتحدث فيه عن الفكر الإسلامي ومساحته المسموح بها شرعًا، وقع اختيارنا على موضوع جديد نستهل به هذا العام الهجري الجديد، عسى أن يكون إضافة جديدة للفكر الإسلامي ومساحته المشروعة.

وبالأخص لما رجعت للسؤال السابق، وأردت أن أجيب عليه، بعد وقوفنا معه طويلاً، قلتُ: لا بد من عقل ذا مرجعية أصيلة، وصاحب ديانة وورع أيضًا يستطيع أن يكون عنده الحل لهذا الجدال، ثم رجعت أفكر في صفات هذا العقل وكينونته.

ولهذا وقع الاختيار على أن أتحدث عن: العقول الفقهية ووظائفها

من هذا الحديث نقف على أنواع هذه العقول، ووظيفة كل نوع منها، وما العقل الذي يكون عنده حل الجدل في مسائل الحج؟ وما العقل الذي لا يستطيع ذلك؟

وكذلك الأمر في باقي المسائل أيضًا التي تعرض للمسلم في حياته.

فلا بد من التعرف على العقل، هذا لسهولة الوصول إليه، وأبدأ في هذه المقالة بمقدمة واجبة للتوضيح؛ لتكون بمثابة المقبلات لما يُذكر بعد ذلك.

فأقول:

قال ابن قدامة في مقدمة روضته: «واعلم أن مدارك اليقين تنحصر بين الحد، والبرهان» كلمات جامعة مانعة فيها ما نريد، فالمدارك كلمة جمع مفردها مدرك، والمدارك هي الطرق والوسائل والآليات- وما في معنى هذه الألفاظ- التي بها يُحصِّل اليقين، واليقين يصل إليه المرء عندما تضطر النفس أن تُصدِّق ما وصل إليه.

هذه الوسائل محصورة بين «الحد»، وهو بيان ما أريد أن أصل إليه، في إثبات هذا الأمر.

معنى هذا أن: ما يريد إدراكه المرء لا بد أن يعلمه حتى يصل إلى إدراكه والعلم به يقينًا، ومعلوم أن من آليات الإدراك بل أعظمها قدرًا وأولها منزلة: العقل.

والعقل: هو رباط الأمر وكلمته، تقول: عقلت الأمر؛ أي ربطته وكلمته في ربطه.

والعاقل: من يدرك ويميز بهذه الآلة التي أعطاه الله إياها.

واختلف العلماء في مكان العقل في جسم الإنسان بين من قال إنه في الصدر، ومن قال إنه في الرأس، والأول أصح؛ لقوله تعالى في الحج: « أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا » (الحج: ٤٦).

ولما جعل الله تعالى العقل هو مناط التكليف، لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه، فأعطى الله تعالى جل في علاه العقل للإنسان ليكرمه على باقي المخلوقات، وجعله مناطًا للتكليف وأساسًا له.

ومما لا بد من ذكره هنا أن نعلم أن هذه العقول متفاوتة، فيمكن لعقل أن يدرك أمرًا لا يدركه العقل الآخر، والعكس، ولهذا كان الاختلاف فيه سُنَّة كونية بين الناس.

فإدراك العقول تتفاوت بين عقل وآخر، فالعقول ليست متساوية في الفهم والإدراك.

طبيعي أن ما أدركه أنا لا تدركه أنت، والعكس، هذا يجعلنا نقر بأن هناك مجموعة من العقول اختصها الله تعالى بعلم دون عقول أخرى.

فمثلاً: هناك عقول اختصها الله تعالى بإدراك علم الطب.

وهناك عقول اختصها الله تعالى بإدراك علم الكيمياء.

وهناك عقول اختصها بإدراك علم الفيزياء.

وهناك عقول اختصها الله تعالى بإدراك علوم أخرى ولم يختص بها غيرها.

أليس كذلك؟ بلى.

ولهذا قال الله تعالى في كتابه: « فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (النحل: ٤٣).

ولهذا نُقرّ بأن الله جعل عقول معينة اختصها بعلم دينه وفقهه وشريعته، ولم يختص بها غيرهم من العقول.

ولذا قال الله تعالى: « فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ» (التوبة: ١٢٢)، فاختص الله تعالى جل شأنه جماعة وطائفة من المسلمين بإدراك هذا العلم وتعلمه وتعليمه لباقي الناس.

ومن هنا وجب علينا بيان هذه العقول ووظيفة كل عقل منها لندرك محل كل عقل أين يكون.

وأبدأ معك أيها القارئ الكريم في المرة القادمة ببيان أول هذه العقول ووظيفته.

أتركك في رعاية الله وأمنه، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عزاء واجب

بعد صراع مع المرض مرَّ كمرور الرياح المتسارعة، فارق دنيانا أخٌ وصديقٌ عزيزٌ الدكتور/ يوسف محمود صالح، قرية التفتيش الملكي بأنشاص الرمل، شرقية.

فاللهم اغفر له وارحمه ووسع له في قبره، واجعل الفردوس الأعلى من الجنة مثواه، وبارك في ذريته، وعوضنا عن فقده خيرًا، ولا نقول إلاَّ ما يرضي ربنا وإنا لله وإنا إليه راجعون، والبقاء والدوام لله.

رئيس ومدير تحرير مجلة التوحيد وأسرة المجلة

عزاء واجب

انتقل إلى رحمة الله- بإذنه تعالى- الأخ حمدي السيد محمد عمر، رئيس جمعية أنصار السنة المحمدية، بقرية طناح بالمنصورة، فاللهم اغفر له وارحمه، وتجاوز عن سيئاته، وأدخله الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين، والبقاء والدوام لله.

باب السنة

العدل بين الأبناء من أصول الشريعة الغرَّاء

بقلم
د. مرزوق محمد مرزوق

الحلقة الثانية



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، ومن والاه وبعد:

فقد تكلمنا في ختام عامنا الهجري عن عبادة بها تستقيم المعاملات وتستقر المجتمعات، ألا وهي صفة العدل وقد اختصت مقالتنا بعبادة العدل بين الأبناء، وعوَّلنا فيها على حديث سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما؛ إذ هو العمدة الذي يبدأ به الباحثون حين يتعرض أحدهم لبحث هذه المسألة، وقد تعرضنا له في شهر ذي الحجة تخريجًا وبيانًا لمعناه العام، ثم بعض ما يُستفاد منه على سبيل الإجمال، وتتمة للفائدة نستكمل ما ييسره الله عز وجل لنا من فوائد أخرى، ولعلها مما يلامس واقع الناس اليوم.

أولًا: الحديث:

عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكلَّ ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فارجعه"، وفي لفظ: (فانطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليُشهده على صدقتي، فقال: أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، قال: اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، فرجع أبي فردَّ تلك الصدقة).

التخريج: الحديث متفق عليه، وسبق تخريجه تفصيلاً في عدد ذي الحجة.

وفيما يلي بعض ما يستفاد من الحديث فوق ما تقدم ذكره في شهرنا الماضي:

الفائدة الأولى: الشريعة دعوة للحياة

ومناسبة هذه الفائدة هو ما انتشر بين الناس من خلافات في المعاملات لا سيما في تقسيم التركات؛ لذا فإننا نذكِّر أن البشر لو تُركوا للمشاعر والانفعالات ما استقامت كثير من أمور الحياة، وأن الاستجابة لشرع الله عز وجل هي استجابة لدعوة الحياة، كما قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ

تَحْشُرُونَ) (الأنفال: ٢٤)، مهما عارض ظاهر الشرع تقدير العباد للأمور؛ إذ رب العباد عالم بما خلق كما قال تعالى (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك: ١٤)، وهنا ضرب لنا الصحابة الكرام من النعمان وأمه وأبيه رضي الله عنهم أجمعين ضربوا لنا أروع الأمثلة وأعلاها في استجابتهم لأمر الله؛ إذ انتهوا حيث أمرهم رسول الله فور علمهم بالحكم، بل وبلغوا عنه للناس حينما روى النعمان هذا الحديث؛ فالحمد لله على نعمة الإسلام ورزقه لنا بأصحابه الكرام.

الفائدة الثانية: حكم الرجوع في الهبة كما رجع فيها والد النعمان:

وهنا يختلف الحكم العام للرجوع في الهبة عن رجوع الوالد في هبته:

أولا: حكم الرجوع في الهبة عمومًا

اختلف الفقهاء في جواز رجوع الواهب إذا وهب لولده أو لأجنبي؛ وسبب اختلافهم في ذلك هو تعارض الأدلة الواردة في المسألة من حيث الظاهر، واختلاف الفقهاء في تأويلها، والجمع والتوفيق بينها. وبسط هذه المسائل الفقهية بسطًا علميًا ييسره الله عز وجل في أبواب الفقه من حيث عرض أدلة المختلفين ومناقشتها والترجيح بينها، لكننا في باب السنة ولتمام الفائدة نخلص الى مختصر الفائدة الفقهية من الحديث، وهي كما قال جماهير العلماء أن الأصل في الهبَة اللزوم، إلا في هبة الوالد لولده، ويُنسَب هذا الرأي إلى المالكيَّة والشافعية والحنابلة والظاهرية؛ شريطة القبض في المنقول كالمكيل والموزون، (ينظر: الأم للشافعي (٦٣/٤)، الكافي لابن قدامة (٤٦٩/٢)، والمحلى لابن حزم (١٢٧/٩))

وذلك خلافًا لما قاله الحنفية أنَّ الأصْل الرجوع في الهِبَة إلا لمانع؛ إذ استدلال الحنفية ومن وافقهم بنوه على دليل لا يصح أو إجماع لم يثبت في معارضة الأدلة الصحيحة وأصول الشريعة الثابتة، وكما قال شيخ الاسلام ابن تيمية: "الأصْل في العقود الرضا، ونتيجتُها هو ما أوجباه على أنفسهما بالتعاقُد" (ينظر الفتاوى: ٤٨٥/٣).

فلا تترك الأحكام لمقاصد الأفراد؛ لما في ذلك من العبث، والشرع منزَّه عن ذلك.

ومن أدلة الجمهور على الذي اخترناه حديثا ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم جميعًا، فعن ابن عباس أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «مثل الذي يَرجع في صدقته كمثل الكَلب يقيء ثم يعود في قيئه، فيأكله»، وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العائد في هِبَته، كالعائد في قيئه». (ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣٥/٧)، وصحيح مسلم بشرح النووي (٧١/٦)).

ثانيًا: أما ما يتعلق بهبة الوالد؛ فالظاهر هو جواز رجوع الوالد في هبته لولده:

وذلك ظاهر من حديث النعمان وما سبقه من روايات مختلفة أن بشير والد النعمان رضي الله عنهما كان قد وهبه قبل ذلك شيئًا ثم عاد فيه وأظهر من ذلك، عن ابن عمر وابن عباس كذلك رضي الله عنهم قال صلى الله عليه وسلم: "لا يحلُ للرجل أن يعطي عطية، ثم يرجع فيها، إلا الوالد فيما يعطي ولده؛ مَثَل الذي يعطي العطية، ثم يرجع فيها، كمثل الكلب أكل حتى إذا شبع قاء، ثم عاد إلى قيئه" (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله).

وهو مذهب الجمهور: مالك والشافعي وأحمد في أظهر الروايات عنه.

قال في (عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ٢٩٤/٨) تعليقًا على الحديث، قال الشافعي: "لا يحلُ لمَن وهَبَ هبةً أن يَرجع فيها، إلا الوالد، فله أن يرجع فيما أعطى ولده، واحتجَّ بهذا الحديث".

وشرط جواز رجوع الأب في هبته لولده: ألا يتعلق بها حق للغير، فتكون العين باقية في ملك الولد ولم يترتب عليها التزامات، فلو أن الولد وهبها أو باعها، أو عبداً أعتقه، أو جارية أولدها، فإنه لا يملك إرجاعها؛ لأنها انتقلت من ملك الولد إلى ملك الغير.

فائدة: العطية لا يثبت تملكها إلا بالقبض

واستدلوا في صحة الهدية بالقبض بحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بأن أباها كان قد منحها جذاذ خمسين وسقًا، فلما لم تَحُزْهُ، ومرض مرض الموت قال: (يا ابنتي! والله لا أحد أعز عليَّ فقرًا من بعدي منك، ولا أحد أحب إليَّ غنىً من بعدي منك، وكنت قد نحلتك جذاذ خمسين وسقًا ولو كنت حزتيه لملكتيه)، وفي رواية: (ولو كنت حرثتيه لملكتيه) فعلى رواية: (حزتيه) يكون الفرض جذاذ خمسين وسقًا من تمر جاف بذاته، وعلى رواية: (حرثتيه) يكون قد منحها نخلاً يؤتي ثمرة مقدار خمسين وسقًا، وعلى كلا الحالتين لما لم تقبض ما منحته-سواء كان تمرًا موثقًا أو نخلاً يأتي بهذا القدر من الأوسق- فإنها لا تملكه. ثم قال: (وهو الآن مال وارث؛ فاقتسموه أنت وأخواك وأختاك)، أي: أسماء وبنت أخرى من امرأة كان تزوجها بالمدينة، وكان يسكن معها في السنح، قالت: (أي أختين يا أبي وليس لي إلا أخت واحدة؟ قال: ابنت زيد بن فلان، إنها حامل وأراها حامل بأنثى)، فجاءت كما قال رضي الله عنه، فقالوا: لو لم يشترط القبض في الهدية والهبة لنفذت هبة أبي بكر لابنته عائشة، ولما لم تقبضها رجعت الهبة إلى مال الواهب، وأصبح مال وارث.

هذا وقال بعضهم: الهبة تصح ويقع التمليك لها بمجرد العقد، وعند الحنابلة التفصيل بين المنقول من مكيل وموزون وحيوان، وبين الثابت من عقار وغيره، فقالوا: لا تثبت الهدية في المنقولات إلا بالقبض، وما عداها تثبت بالتخلية.

فائدة: وهنا تتبدى لنا مسألة مما يلامس الواقع، وهي: إذا زوَّج الرجل في حياته أحد أبنائه هل يوصي للصغير؟

فبعض الناس يزوج أولاده الكبار وله أولاد صغار فيوصي لهم بعد موته بمقدار المهر، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

"وهنا مسألة: لو كان لرجل عدة أبناء منهم الذي بلغ سن الزواج فزوجه، ومنهم الصغير، فهل يجوز لهذا الرجل أن يوصي بشيء من ماله يكون مهراً للأبناء الصغار؛ لأنه أعطى أبناءه الكبار؟

الجواب: لا يجوز للرجل إذا زوج أبناءه الكبار، أن يوصي بالمهر لأبنائه الصغار، ولكن يجب عليه إذا بلغ أحد من أبنائه سن الزواج، أن يزوجه كما زوج الأول، أما أن يوصي له بعد الموت؛ فإن هذا حرام، ودليل ذلك قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث) (ينظر " مجموع فتاوى ابن عثيمين " (١٨/٤١١) انتهى

فلو مات الأب، فليس لباقي الأبناء الذين لم يزوجهم الأب في حال حياته نصيب في التركة، إلا الميراث المقدر لهم شرعًا، وهذه تحتاج إلى الإذعان والرضى بشرع الحكيم الرحمن.

و جاء في " فتاوى اللجنة الدائمة- المجموعة الأولى " (١٦/٢٢٦) في سؤال قريب من هذا قالوا: " يجب عليك (أي على الأب) أن تزوج من احتاج إلى الزواج من أبنائك، إذا كان لا يقدر على الزواج من ماله، وأنت قادر على ذلك، وتقوم بتكاليف زواجه، ولا تدفع للأبناء المتزوجين والذين يقدرون على الزواج بأموالهم، مثل ما دفعت في تزويج هذا الابن المحتاج؛ لأن هذا يعتبر من الإنفاق الواجب، وليس هو من العطية التي تجب فيها التسوية

بين الأولاد" انتهى.

فائدة: صفة التسوية بين الأبناء

هل يجب التسوية بين الابناء تسوية مطلقة أم يعطوا كما الميراث؟

الجواب: اختلفوا في ذلك على قولين: جاء في كتاب المغني لابن قدامة (كتاب الهبة والعطية، مسألة فاضل بين أبنائه في العطية ص٢٥٩) قال: ولا خلاف بين أهل العلم في استحباب التسوية، وكراهة التفضيل. قال إبراهيم: كانوا يستحبون أن يسووا بينهم حتى في القُبَل. إذا ثبت هذا، فالتسوية المستحبة أن يقسم بينهم على حسب قسمة الله تعالى الميراث، فيجعل للذكر مثل حظ الأنثيين؛ وبهذا قال عطاء، وشريح، وإسحاق، ومحمد بن الحسن. قال شريح لرجل قسم ماله بين ولده: اردد هم إلى سهام الله تعالى وفرائضه. وقال عطاء: ما كانوا يقسمون إلا على كتاب الله تعالى. وقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن المبارك: تعطى الأنثى مثل ما يعطى الذكر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبشير بن سعد: "سَوِّ بينهم". وعلل ذلك بقوله "أيسرك أن يستووا في برك؟ قال: نعم. قال: فَسَوِّ بينهم". والبنت كالابن في استحقاق برها، وكذلك في عطيتها. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سووا بين أولادكم في العطية، ولو كنت مؤثرًا لأحد لآثرت النساء على الرجال" رواه سعيد في "سننه"، ولأنها عطية في الحياة، فاستوى فيها الذكر والأنثى، كالنفقة والكسوة.

يقول ابن قدامة: ولنا أن الله تعالى قسم بينهم، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وأولى ما اقتدى بقسمة الله، ولأن العطية في الحياة أحد حالي العطية، فيجعل للذكر منها مثل حظ الأنثيين، كحالة الموت. يعني الميراث.

(ويحقق ذلك) أن العطية استعجال لما يكون بعد الموت، فينبغي أن تكون على حسبه، كما أن معجل الزكاة قبل وجوبها يؤديها على صفة أدائها بعد وجوبها، وكذلك الكفارات المعجلة، ولأن الذكر أحوج من الأنثى، من قبل أنهما إذا تزوجا جميعًا فالصداق والنفقة ونفقة الأولاد على الذكر، والأنثى لها ذلك، فكان أولى بالتفضيل؛ لزيادة حاجته، وقد قسم الله تعالى الميراث، ففضل الذكر مقرونا بهذا المعنى فتعلل به، ويتعدى ذلك إلى العطية في الحياة.

قال: وحديث بشير قضية في عين، وحكاية حال لا عموم لها، وإنما ثبت حكمها فيما ماثلها، ولا نعلم حال أولاد بشير، هل كان فيهم أنثى أو لا؟ ولعل النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أنه ليس له إلا ولد ذكر. ثم تحمل التسوية على القسمة على كتاب الله تعالى. ويحتمل أنه أراد التسوية في أصل العطاء، لا في صفته، فإن القسمة لا تقتضي التسوية من كل وجه وكذلك الحديث الآخر، ودليل ذلك قول عطاء: ما كانوا يقسمون إلا على كتاب الله تعالى. وهذا خبر عن جميعهم، على أن الصحيح من خبر ابن عباس أنه مرسل.

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: " يجب على الوالد العدل بين أولاده ذكورهم وإناثهم حسب الميراث، ولا يجوز له أن يخص بعضهم بشيء دون البقية إلا برضى المحرومين إذا كانوا مرشدين، ولم يكن رضاهم عن خوف من أبيهم، بل عن نفس طيبة ليس في ذلك تهديد ولا خوف من الوالد، وعدم التفضيل بينهم أحسن بكل حال، وأطيب للقلوب، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) متفق على صحته" انتهى. "فتاوى الشيخ ابن باز" (٥١/٢٠).

قلت: وكل هذا فيما يتعلق بالعطية غير المسببة، أما التي بسبب كمعونة ضرورية أو علاج مرض أو إنفاق على طالب علم فلا يقيد فيها الوالد بتسوية، فيعطي كلاً حسب حاجته في حياة والده، فلا فرق في ذلك بين ذكر وأنثى. والله أعلم.

وفي هذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٧٢)

٦٨٣- «إن كنتَ صائمًا بعد شهر رمضانَ، فصُمْ المُحرَّم، فإنه شهرُ اللهِ، فيه يومٌ تابَ اللهُ على قوم، ويتوبُ فيه على قوم آخرين».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/١٥١) (ح١٣٢١)، والإمام الترمذي في «السنن» (٣/١١٧) (ح٧٤١) من حديث عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي مرفوعًا، وعلته عبد الرحمن بن إسحاق.

قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٣٧٣٧/٩٩/١١): «عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث أبو شيبة الواسطي، ويقال الكوفي، ابن أخت النعمان بن سعد الأنصاري، قال أبو طالب، عن أحمد بن حنبل: ليس بشيء، مُنكَر الحديث. وقال أبو بكر بن خزيمة: لا يُحتج بحديثه. وقال الإمام البخاري: فيه نظر. وقال أبو حاتم: منكر الحديث لا يُحتج به. وقال الدوري عن ابن معين: ضعيف ليس بشيء. ونقل هذا الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٦/١٢٤)، وأقره وزاد حيث نقل عن عبد الله بن أحمد عن أبيه قال: ليس بذاك، وهو الذي يحدث عن النعمان بن سعد أحاديث مناكير». اهـ.

وقال الساجي: «كُوفي أصله واسطي أحاديثه مناكير». اهـ.

فائدة: يغني عن هذا الحديث المنكر الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (ح١١٦٣) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضلُ الصيام بعدَ رمضانَ، شهر الله المحرم، وأفضلُ الصلاةِ بعد الفريضة صلاةُ الليل».

٦٨٤- «كل شهر حرام تامٌ؛ ثلاثون يومًا وثلاثون ليلةً».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤/٣٠٤) (١٦٢/١١٢٩) من حديث أبي بكرة مرفوعًا، وعلته عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبة الواسطي وهو منكر الحديث، ليس بشيء، لا يُحتج به، وقال الإمام البخاري: «فيه نظر» كما بينا آنفًا، وهذا المصطلح عند البخاري له معناه، فقد بيَّن ذلك الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٨٨): «هناك اصطلاحات لأشخاص ينبغي التوقف عليها؛ من ذلك أن البخاري إذا قال في الرجل: سكتوا عنه. أو: فيه نظر. فإنه يكون في أدنى المنازل وأردئها عنده ولكنه لطيف العبارة في التجريح فليُعلم ذلك». اهـ.

فائدة: لبيان نكارة هذا الحديث، فقد أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٤٦٦٢)، والإمام مسلم في «صحيحه» (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرمٌ ثلاثٌ متواليات؛ ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مُضر الذي بين جمادى وشعبان».

وقال تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ» (البقرة:١٨٩).

ولقد تبين من رؤية الهلال للأشهر الحرم العام ١٤٣٩هـ أن شهر رجب تسعةٌ وعشرون يومًا، وشهر ذي القعدة تسعة وعشرون يومًا، وبهذا يتبين نكارة هذا الحديث متنًا وإسنادًا.

٦٨٥- «قراءةُ سور القَلاقِلِ أمانٌ مِن النَّارِ».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السخاوي في «المقاصد» (ح٧٦٩) ثم قال: «لا أعرفه». اهـ. ونقل عنه القاري في «المنوع» (ح٢١٤): «لا أصل له». اهـ. وسور القلاقل: التي تبدأ بقل، وهي أربعة: الكافرون والإخلاص والمعوذتان.

٦٨٦- «مَن قال: جَزَى اللهُ عنا محمدًا بما هو أهله أتعبَ سبعينَ كاتبًا ألفَ صباحٍ».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «الأوسط» (١/١٨٠) (ح٢٣٧) من حديث ابن عباس مرفوعًا، ثم قال: «لم يرو هذا الحديث عن عكرمة إلا جعفر بن محمد، ولا عن جعفر بن محمد إلا معاوية بن صالح، تفرد به هانئ بن المتوكل». اهـ.

قلتُ: وهانئ هذا هو علته، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «الضعفاء والمتروكين» (٩٧/٣): «كان تدخل عليه المناكير، فكثرت المناكير في روايته، فلا يجوز الاحتجاج به بحال». اهـ. ونقله الإمام الذهبي في «الميزان» (٩١٩٨/٢٩١/٤)، وأقره وذكر هذا الحديث من مناكيره.

٦٨٧- «القلبُ بيتُ الربِّ».

الحديث لا يصح، أورده الإمام عليّ القاري الهروي في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (ح٢١٧)، وبيَّن أقوال الأئمة: قال الزركشي وغيره: لا أصل له. وقال ابن تيمية: «موضوع». وفي «ذيل الموضوعات» للسيوطي قال: «هو كما قال».

قلت: أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٧٦/١٨) وقال: «ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فإن القلب بيت الإيمان بالله ومعرفته ومحبته». اهـ.

ولذلك أورده الإمام الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٧٧٦) وقال: «ليس له أصل في المرفوع والقلب بيت الإيمان بالله ومعرفته ومحبته». اهـ.

فائدة: ولقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة أن القلب بيت التقوى؛ حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «التقوى هاهنا، ويشيرُ إلى صدره ثلاث مرات». اهـ. وقال تعالى: «ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ» (الحج: ٣٢).

٦٨٨- «ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن».

الحديث لا يصح؛ أورده الغزالي في «الإحياء» (١٤/٣)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أر له أصلاً». اهـ. وسُئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية فأجاب في «مجموع الفتاوى» (٣٧٦/١٨) فقال: «هذا مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم». اهـ. وأورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٩٩٠) ناقلاً قول الحافظ العراقي، والإمام ابن تيمية.

باب الطهارة

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فقد شرعنا في بيان الأحكام المتعلقة بالنفاس، وذكرنا تعريف النفاس، ومدة النفاس، وهل كل وضع يثبت به النفاس أم لا؟ ونستكمل ما بدأناه بإذن الله تعالى، وأسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناتنا يوم الحساب؛ إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

أولاً: حكم الدم الخارج قبل الولادة:

إذا رأت المرأة دمًا قبل ولادتها فقد اختلف الفقهاء هل يعتبر نفاسًا أم لا ؟ على قولين:

القول الأول: لا يعتبر نفاسًا، وإليه ذهب الحنفية، والمالكية، والشافعية- البحر الرائق (٢٢٩/١)، فتح القدير(١٨٧/١)، منح الجليل (١٨٥/١)، المجموع شرح المهذب (٥١٨/٢)، الحاوي الكبير (٤٣٨/١).

واستدلوا: بأن النفاس هو الدم الخارج عقيب الولادة فلا يكون ما قبلها نفاسًا؛ لأنه يتنافى مع تعريف النفاس.

وأيضًا لانسداد فم الرحم بالولد قبل الولادة فلا يخرج منه دم، وإنما يخرج دم النفاس بخروج الولد لانفتاح فم الرحم حينئذ- البحر الرائق (٢٢٩/١).

القول الثاني: ذهب الحنابلة إلى أن الدم إن خرج قبل الولادة بيومين أو ثلاثة مصحوبًا بأمارات الولادة فهو نفاس، وإن خرج قبل ذلك فليس بنفاس- المغني لابن قدامة (٢٦٢/١)، الروض المربع (٥٨).

واستدلوا على ذلك: بأنه دم خرج بسبب الولادة فكان نفاسًا، كالخارج بعد الولادة، وإنما يعلم خروجه بسبب الولادة إذا كان قريبًا منها ويعلم ذلك برؤية أماراتها؛ من المخاض ونحوه في وقته؛ بخلاف ما إذا رأت الدم من غير أمارات الولادة، فلا تترك له العبادة؛ لأن الظاهر أنه دم فساد. (المغني لابن قدامة: ٢٦٢/١).

أقوال أهل العلم في المسألة:

أولًا: من قال بأنه لا يعد نفاسًا:

جاء في البحر الرائق (٢٢٩/١): ودم الحامل استحاضة لانسداد فم الرحم بالولد فلا يخرج منه دم، ثم يخرج بخروج الولد للانفتاح به.

جاء في الشرح الكبير للدردير (١٧٥/١): والنفاس دم أو صفرة أو كدرة خرج من القبل للولادة معها أو بعدها لا قبلها على الأرجح بل هو حيض.

جاء في المجموع شرح المهذب (٥١٨/٢): فإن خرج قبل الولادة شئ لم يكن نفاسًا، وإن خرج بعد الولادة كان نفاسًا.

جاء في الحاوي الكبير (٤٣٨/١): وإن رأت في

ولادتها دمًا فعلى ضربين:

أحدهما: أن يبتدئ بها مع الولادة. والثاني: أن يبتدئ بها قبل الولادة، فإن بدأ بها الدم قبل الولادة فلا يخلو من أن يتصل بدم الولادة أم لا، فإن لم يتصل إلى ما بعد الولادة، وانقطع قبلها لم يكن ذلك الدم نفاسا، لا يختلف أصحابنا فيه، كان كالذي تراه المرأة من الدم على حملها هل يكون حيضا أم لا؟ على قولين. أحدهما: قاله في القديم وهو مذهب أبي حنيفة يكون دم فساد، فلا يكون حيضًا. والقول الثاني: قاله في الجديد، وهو مذهب مالك يكون حيضًا.

ثانيًا: من قال بأنه لا يُعَدُّ نفاسًا إلا إذا خرج قبل الولادة بيومين أو ثلاثة مصحوبًا بأمارات الولادة:

جاء في الكافي لابن قدامة (١٥٢/١): فإن خرج قبل الولادة بيومين، أو ثلاثة، فهو نفاس؛ لأن سبب خروجه الولادة، وإن خرج قبل ذلك، فهو دم فساد؛ لأنه ليس بنفاس، لبعده من الولادة، ولا حيض؛ لأن الحامل لا تحيض.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٤٠/١٩): وما تراه من حين تشرع في الطلق فهو نفاس وحكم دم النفاس حكم دم الحيض.

الراجح:

والذي يظهر لي بعد عرض أقوال الفقهاء وأدلتهم أن القول الراجح هو القول الثاني القائل بأن الدم الذي يخرج قبل الولادة بيومين أو ثلاثة مصحوبًا بآلام الولادة نفاس، وهو ما ذهب إليه الحنابلة وشيخ الإسلام، والله تعالى أعلم.

ثانيًا: إذا ولدت المرأة ولم تر دم النفاس:

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: يجب عليها الغسل بالولادة وإن لم تر الدم، ويبطل صومها إن كانت صائمة، وهو قول أبي حنيفة وزفر، ومالك في قول، والشافعية في أصح الوجهين، والحنابلة في رواية- تبيين الحقائق (٨٦/١)، الشرح الصغير (١٦٦/١)، أسنى المطالب (٦٤/١)، المغني لابن قدامة (١٥٤/١).

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- أن الولادة بلا دم مظنة خروج الدم، فتعلق الحكم بها، كما جعل النوم ناقضًا للوضوء لأنه مظنة خروج الحدث وإن تحقق عدم خروج شيء، وكتعلق الغسل بالتقاء الختانين وإن لم يوجد الإنزال- نهاية المحتاج (٤١٣/١)، المغني لابن قدامة (٢٥٢/١).

٢- إذا وجب الغسل بخروج المني، الذي هو أصل الولد، فوجوبه بنفس الولد أولى- الوسيط في المذهب (٣٧٣/١).

٣- ولأن الولادة لا تخلو ظاهرًا عن قليل دم- فتح القدير (١٨٦/١).

٤- كما أن وجوب الغسل بناء على إعطاء الصورة النادرة حكم غالبها، كما أن النفاس تنفس الرحم وقد وجد- شرح مختصر خليل (١٦٥/١).

القول الثاني: لا يجب عليها الغسل، وهو قول أبي يوسف، ومالك في رواية، والشافعية في قول، والحنابلة في رواية- تبيين الحقائق (٨٦/١)، مواهب الجليل (٣٠٩/١)، نهاية المحتاج (٢١٢/١)، المغني لابن قدامة (١٥٤/١).

واستدلوا بما يأتي:

١- أن الوجوب من الشرع، وإنما ورد الشرع بإيجاب الغسل على النفساء، وليست هذه نفساء، ولا في معناها؛ لأن النفساء يخرج منها دم يقتضي خروجه وجوب الغسل، ولم يوجد ذلك فيمن لم يخرج منها- المغني لابن قدامة (٢٥٢/١).

٢- أن اغتسالها لخروج الدم لا لخروج الولد، فلو اغتسلت لخروج الولد لا للدم لم يجزها- شرح مختصر خليل (١٦٥/١).

أقوال أهل العلم في المسألة:

أولاً: من قال بوجوب الغسل:

جاء في البحر الرائق (٢٢٩/١): لو ولدت ولم تر دمًا لا تكون نفساء، ثم يجب الغسل عند أبي حنيفة احتياطًا؛ لأن الولادة لا تخلو ظاهرًا عن قليل دم.

جاء في تبيين الحقائق (٨٦/١): لو ولدت ولم تر دمًا يجب عليها الغسل عند أبي حنيفة

وزفر وهو اختيار أبي علي الدقاق؛ لأن نفس خروج النفس نفاس على ما تقدم.

جاء في أسنى المطالب (٦٤/١): موجبه... خروج ولد ولو علقة ومضغة وبلا بلل؛ لأنه مني منعقد، ولأنه لا يخلو عن بلل غالبًا، فأقيم مقامه كالنوم مع الخارج، وتفطر به المرأة على الأصح في التحقيق وغيره.

جاء في المغني لابن قدامة (١٥٤/١): فأما الولادة إذا عريت عن دم، فلا يجب فيها الغسل، في ظاهر كلام الخرقي. وقال غيره: فيها وجهان؛ أحدهما يجب الغسل بها؛ لأنها مظنة للنفاس الموجب، فقامت مقامه في الإيجاب، كالتقاء الختانين؛ ولأنها يستبرأ بها الرحم أشبهت الحيض.

جاء في نهاية المحتاج (٢١٢/١): وكذا ولادة بلا بلل في الأصح لأنها لا تخلو عن بلل وإن كنا لا نشاهده، ولأنه يجب بخروج الماء الذي يخلق منه الولد فبخروج الولد أولى. والثاني لا، لقوله- عليه الصلاة والسلام- «إنما الماء من الماء».

ثانيًا: من قال بعدم وجوب الغسل:

جاء في تبيين الحقائق (٨٦/١): لو ولدت ولم تر دمًا... عند أبي يوسف وهو رواية عن محمد لا غسل عليها لعدم الدم قال في المفيد هو الصحيح لكن يجب عليها الوضوء لخروج النجاسة مع الولد إذ لا يخلو عن رطوبة.

الراجح:

والذي أراه وأعتقد أنه الحق أن الأحوط أن تغتسل خروجًا من الخلاف؛ لأن الولادة مظنة للنفاس الموجب للغسل، ولأن الغالب في الولادة خروج دم ولو قليل مع المولود أو عقبه، والله تعالى أعلم.

ثالثًا: الولادة القيصري:

إذا ولدت المرأة بعملية جراحية بما يسمى بالولادة القيصرية ولم تر دمًا فلا تكون نفساء، فتصوم وتصلي كسائر الطاهرات، فإن رأت الدم صارت نفساء وتمكث حتى تطهر.

جاء في فتح القدير (١٨٦/١): فإنها لو ولدت من قبل سرتها بأن كان ببطنها جرح فانشقت وخرج الولد منها تكون صاحبة جرح سائل لا نفساء وتنقضي به العدة وتصير الأمة أم ولد به.

رابعًا: يجوز للنفساء الإحرام بالحج والعمرة:

بدليل ما جاء في حديث جابر الطويل في مسلم «.... فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي..» صحيح مسلم (١٢١٨).

والاستثفار: هو أن تشد في وسطها شيئًا وتأخذ خرقة عريضة تجعلها محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها في ذلك المشدود في وسطها- شرح النووي (٤٣٥/٤).

قال الخطابي في معالم السنن (١٩٩/٢): وفي قوله لأسماء وهي نفساء لم تتعل من نفاسها: اغتسلي واستثفري دليل على أن من سنة المحرم الاغتسال، وإن الحائض إذا أرادت الإحرام اغتسلت له كالطاهر.

رابعًا: علامة الطهر من النفاس:

تطهر النفساء كما تطهر الحائض بأحد أمرين:

الأول: القَصَّة البيضاء: وهي سائل أبيض شفاف يخرج من النساء في آخر الحيض، يكون علامة على الطهر.

الثاني: الجفاف التام: وذلك بأن تدخل المرأة قطنة أو خرقة في فرجها، فتخرج بيضاء ليس فيها شيء من الدم لا صفرة ولا كدرة ولا غيرهما.

جاء في حاشية الصاوي على الشرح الصغير(٢١٤/١): علامة الطهر أي انقطاع الحيض أمران: الجفوف: أي خروج الخرقة خالية من أثر الدم وإن كانت مبتلة من رطوبة الفرج، والقصة: وهي ماء أبيض كالمني أو الجير المبلول. والقَصَّة أبلغ: أي أدل على براءة الرحم من الحيض، فمن اعتادتها أو اعتادتهما معًا طهرت بمجرد رؤيتها فلا تنتظر الجفوف.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



منبر الحرمين

العام الجديد.. وشهر الله المحرم

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: ١).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

إعداد: الشيخ د. عبد الله بن عبد الرحمن البعيجان
خطيب المسجد النبوي الشريف

أما بعدٍ: فأُوصيكم عبادَ الله ونفسي بتقوى الله جلَّ وعلا في السرِّ والنجوَى؛ فهي وصيَّة الله للأولين والآخرين: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ) (النساء: ١٣١).

ثم اعلَمُوا رحمَكم الله أن الزمانَ سيَّار، وقد أدبَرَ عامُه واستدَار، وما مضَى فلن يعُود، وكلُّ لحظة تمرُّ تزُفك عبدَ الله إلى يوم موعود، وشاهد ومشهود، وإلى فراق ولحود.

فاغتنمُوا الفرصَة، وحاسِبُوا أنفسَكم قبلَ أن تُحاسَبُوا، وتزيَّنوا للعرض الأكبر، وإنما يخفُّ الحسابُ يومَ القيامة على من حاسَبَ نفسَه في الدنيا، (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا) (المزمل: ٢٠).

أيها المسلمون:

قد دخَلتُم في عام جديد، بدايتُه شهرٌ حرام، ونهايتُه شهرٌ حرام. طبتُم في غُرتِه وسائر أيامه، وبُورِكَ لكم في أوقاته وأزمانه.

وشهرُ محرَّم من الأشهُر الحرم التي قال الله تعالى فيها: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ) (التوبة: ٣٦).

وقالَ فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

«إنَّ الزَّمانَ قد استدارَ كهيئتِه يومَ خلقَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ، السَّنَةُ اثنا عشرَ شهرًا، منها أربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثٌ مُتوالياتٌ: ذو القعدة، وذو الحجَّة، والمحرَّمُ، ورجَبُ مُضرَ الَّذي بينَ جُمادى وشعبانَ»؛ متفق عليه.

فحريٌّ بالمسلم أن يستقبلَ عامَه الجديدَ بطاعةِ اللهِ عز وجلَ، والانقيادَ لأوامره، والاستعدادَ للقائه، وأن يستشعرَ ويعرفَ للأشهر المحرَّمة حُرمَتها وفضلَها ومكانتَها، وتلك طاعةٌ يُلتمَسُ ثوابُها، ويُحذَرُ من عقابِها.

قالَ الحسنُ البصريُّ رحمه الله: "إن الله افتتَحَ السنةَ بشهرٍ حرام، واختتَمَها بشهرٍ حرام، فليس شهرٌ في السنَةِ بعد شهرِ رمضان أعظمَ عند الله من المُحرَّم، وكان يُسمَّى: "شهرُ الله الأصمُّ"، من شدَّةِ تحريمه".

عبادَ الله:

وقد رغَّبَ الشارعُ في صيامِ شهرِ المحرَّم تطوُّعًا، فاحرصُوا على أن يكونَ لكم أكثرُ نصيبٍ من فضله.

فعن أبي هريرةَ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصيام بعدَ رمضان: شهرُ اللهِ المُحرَّم، وأفضل الصلاةِ بعدَ الفريضة: صلاةُ الليل» (رواه مسلم).

أيها المسلمون:

رجَّحَ كثيرٌ من أهلِ العلم أن شهرَ مُحرَّم أفضلُ الأشهُرِ الحُرُم، ولعظم مكانته في نفوس الصحابة، استأنفوا به تقويمَ السنةِ الهجرية.

ففي عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جمعَ الناس واستشارَهم: من أين يُبدأ التاريخ؟ فقيل: يُبدأ من مولد النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وقيل: من بعثته، وقيل: من هجرته، وقيل: من وفاته، وترجَّح في رأيه رضي الله تعالى عنه أن يُبدأ من الهجرة؛ لأنَّ الله فرَّقَ بها بين الحقِّ والباطل، ولأنها هي التي كان فيها قيامُ كيانٍ مُستقلٍ للمسلمين.

ثم شاورَ عمرُ الصحابةَ رضي الله تعالى عنهم من أيّ شهر يبدؤون السنة، فقيل: من ربيع الأول؛ لأنه الشهر الذي قدمَ فيه النبي صلى الله عليه وسلم مُهاجرًا إلى المدينة، وقيل: من رمضان، ثم اتَّفقَ عمرُ وعثمانُ وعليٌّ رضي الله تعالى عنهم على البدء بشهر الله المُحرَّم، وتلقَّت الأمةُ بأسرها ذلك بالقبول؛ لأنه شهرٌ حرامٌ، ويلي ذي الحجَّة شهر حرام، ويلي الشهرَ الذي بايعَ فيه النبيُّ صلى الله عليه وسلم الأنصارَ على الهجرة، فكان أولى الشهور بالأولوية.



فرضيَ الله تعالى عن عُمر، وعن كافَّة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

ونسألُ الله أن يمُنَّ على المسلمينَ في هذا العام الجديد بعزٍّ وتمكين، ونصرٍ مُبين، وأن يُؤلِّفَ بين قلوبهم، ويجمعَ كلمتَهم، ويوحِّدَ صفهم.

عبدَ الله:

لا للهو خُلقتَ ولا للعب ولا للهَزَل.. ولا للنوم ولا للطعام ولا للكسل. فبادر وبادر ودَع عنك العلَل.. واغتنم الفُرصةَ قبلَ فوات الأمَل، ولا تكن كمن نعَاه الحادي:

قطعْتَ شُهورَ العام لهوًا وغفلةً

ولم تحترم فيما أتيتَ المُحرَّما
فلا رجبًا وافيتَ فيه بحقّه
ولا صُمتَ شهرَ الصَّوْم صومًا مُتمّمَا
ولا في ليالي عشرِ ذي الحجَّة الذي
مضى كنْتَ قوّامًا ولا كنْتَ مُحرمًا
فهل لك أن تمحُو الذنوبَ بعَبرة
وتبكي عليها حسرةً وتندُّمَا
وتستقبلَ العامَ الجديدَ بتوبة
لعلك أن تَمحُو بها ما تقدَّمَا

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ) (المنافقون: ٩-١١).

مَعشرَ المُسلمين:

بعد أيام معدودات سيحُلّ عليكم يومُ عاشوراء، وهو اليومُ العاشرُ من مُحرَّم. يومٌ عظيم، وفضلُه قديم، قد اختصَّ بخصائص تاريخية ودينيَّة؛ منها: مشروعيَّةُ صيامه، فقد كان نبيُّ الله موسى عليه الصلاة والسلام يصومه، وكانت قريشٌ تصومه، فلما قدمَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ وجدَ اليهودَ يصومونَه، فلما كان في العام القابل صامَه وأمَرَ بصيامه، ثمَّ فرضَ شهرُ رمضانَ ذلك العام، فنُسخَ وجوبُ صوم عاشوراء، وبقيَ صومُه مُستحبًا على الراجح.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ، فوجدَ اليهود يصومونَ يوم عاشوراء، فسُئلوا عن ذلك، فقالوا: هذا اليوم الذي أظهَرَ الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، فنحنُ نصومُه تعظيمًا له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نحن أَولَى بموسى منهم، فصُومُوه» (متفقٌ عليه).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يتحرَّى صيام يوم فضَّله على غيره، إلا هذا اليومَ يومَ عاشوراء، وهذا الشهرَ يعني: شهر رمضان" (رواه البخاري).

وفي "صحيح مسلم" أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صيامُ يوم عرفةَ أحتسبُ على الله أن يُكفرَ السنةَ التي قبلَه والسنةَ التي بعده، وصيامُ يوم عاشوراءَ أحتسبُ على الله أن يُكفرَ السنةَ التي قبلَه».



وقد بلغَ النبي صلى الله عليه وسلم في آخر عُمُره أن اليهود يتَّخذون عاشوراء عيدًا، فهَمَّ أن يصومَ التاسعَ والعاشرَ من العام المُقبل، فحالَتْ دونَه المنيَّة.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "حين صامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء، وأمرَ بصيامه، قالوا: يا رسول الله! إنه يومٌ تُعظمه اليهودُ والنصارى، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا كان العامُ المُقبل إن شاء الله صُمنا اليوم التاسع» يعني: والعاشر، قال: فلم يأت العام المُقبل، حتى تُوفي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم" (رواه مسلم).

فالأفضلُ عباد الله أن يُصام يومٌ قبلَه، خلافًا لليهود، ومن غُلب فلا يُغلبنَّ على صيام اليوم العاشر.

ومن خصائص هذا اليوم: أنَّه يومٌ نجَّى الله فيه موسى وأهله، وأهلك فرعون وقومه، ولهذا صامه موسى وبنو إسرائيل شكرًا لله عزَّ وجل، ثم صامه النبي صلى الله عليه وسلم شكرًا لله عزَّ وجل.

فنسألُ الله أن يُوفِّقَنا لصومه، وأن ينصُرَ جنودَنا المرابطين في ثُغورنا، كما نصر موسى عليه السلام على فرعونَ وقومه في يوم عاشوراء.

وبعدُ.. معاشر المسلمين: فهذا ما في هذا اليوم من الخصائص، وقد انتحل الوضَّاعُون في شأنه وأمره مُفتريات كثيرة، لم تصحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن الصحابة الكرام، وعلى عن أئمة السلف، فجعل بعض الناس يغلو فيه فيبتدع عبادات لم تشرَع، ويتشبَّث بأوهام وضلالات لم يُوفَّق للخير في مُلابساتها.



فلو كان يدري يوم عاشوراء
ما كان يجري فيه من بلاء
ما لاح فجره ولا استنارا
ولا أضاءت شمسه نهارا

فاتقوا الله عباد الله في أنفسكم وفي دينكم، لا تبتدعوا ولا تحرفوا شريعة الله؛ فقد ائتمنتم وأنتم خيرُ أمة أخرجت للناس، وحُذِّرتم وأنتم أمة وسطا، وقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء، «ومن أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ»، «ومن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ».

والله لا يُتعبَّدُ إلا بما شرعَ على لسان نبيِّه عليه الصلاة والسلام، وفيه كفاية، الزيادةُ عليه إفراطٌ وغلوٌّ وتنطع، والتقصيرُ فيه تفريطٌ وتساهل، وحسبُنا قول ربِّنا: (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا) (المائدة: ٣).

قال حذيفة رضي الله تعالى عنه: "كل عبادة لم يتعبَّدها أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبَّدوها؛ فإن الأول لم يدعْ للآخر مقالًا. اتقوا الله وخذوا طريق من كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن تركتموه يمينًا وشمالًا، لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا".

فنسأل الله أن يرزقنا التمسك بالسُّنَّة، والسير على وفقها، وأن يُجنبنا البدع ويُعيذنا منها، وأن يُجنبنا طرائق الغلاة والجفاة، وأن يشرح صدورنا للحق، ويجعلنا أهل وسطية واعتدال، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، وانصر عبادك الموحدين، واجعل اللهم هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا.

اللهم أصلح أحوال المسلمين، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان.



الحلقة الأولى

إعلام المسلمين والمسلمات بما جاء في العقارب والحيات

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمَد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد:

فقد استيقظت مصر، واستيقظ المصريون على نبأ هجوم الثعابين، والحيات على قرى منية السعيد، والعطف، مركز المحمودية، محافظة البحيرة، وشبرا بخوم، مركز قويسنا، محافظة المنوفية، وميت إشنا، مركز أجا، محافظة الدقهلية، مخلفة وراءها عدداً من القتلى، والمصابين، وسادت حالة من الهلع، والخوف جنبات هذه القري، والقرى الأخرى مخافة أن يلحقها ما لحق بهذه القري المنكوبة.

وقد سارع المسئولون بمد يد العون للأهالي، ومساعدتهم في القضاء على تلك الزواحف، وتوعيتهم بأساليب مكافحتها، والقضاء عليها، وبيان أسباب هذا الهجوم.

وأمام خطورة هذه الحوادث، وما خلفته من آثار مادية، ونفسية عميقة بأهالي تلك القري، فقد قمت بكتابة هذا البحث الذى يتناول بالتفصيل كل ما يتعلق بالحيات، والعقارب، من الناحية الشرعية، والعملية، والتاريخية.

وقمت بفضل الله تعالى بالبحث عن كلمات الحية، والثعبان، والأفعى في القرآن الكريم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وراجعت قرابة ثلاثة آلاف حديث تتعلق بها، لاستخلاص الصحيح منها، وترك السقيم، ثم رتبتها موضوعيا، وعرجت على أقوال الفقهاء في بعض المسائل المتعلقة بها، وبينت أصل العداوة بينها وبين البشر، والأمر بقتلها، والتحذير من ورود مأويها، والحث على الأخذ بالأسباب الشرعية، والمادية للتحصين من لدغاتها.. إلخ ما جاء بتلك الوقفات الواردة بهذا البحث، الذى جمع شتات كل ما يتعلق بالحيات والثعابين في كتاب واحد.

وهدفي من هذا البحث توعية الناس بخطورتها، وكيفية التعامل معها، والحرص على تحصين النفس من لدغاتها، لجهل كثير منهم، وغفلة آخرين بأحكامها.

الوقفة الأولى: سبب الكتابة في هذا الموضوع

سبق وأن ذكرت أن السبب الأصلي للكتابة في هذا الموضوع هو ظاهرة مهاجمة الثعابين لقريتين مصريتين، مخلفة وراءها العديد من القتلى والمصابين، وكذا العدد الهائل للدغات الثعابين للبشر على مستوى العالم، والعدد المهول للوفيات والمصابين من جرائها، والذى ورد بتقارير منظمة الصحة العالمية، ومنها ما ورد بموقعها على الشبكة العنكبوتية، بتاريخ ٢٠ فبراير ٢٠١٨ تحت عنوان «مضادات سموم الثعابين» حيث جاء به الآتي: «على الرغم من أنَّ العدد الحقيقي للدغات الثعابين يظلّ مجهولاً، فإنّ التقديرات تشير إلى أنّ ٥ ملايين نسمة يتعرّضون، كل عام،

لتلك اللدغات ممّا يؤدي إلى وقوع نحو ٢,٥ مليون حالة تسمّم سنوياً. تؤدي لدغات الثعابين كل عام إلى وقوع ما لا يقل عن ١٠٠,٠٠٠ حالة وفاة ونحو ثلاثة أضعاف ذلك من حالات بتر الأطراف وغيرها من حالات العجز الدائمة.

يمكن أن تتسبّب لدغات الثعابين السامة في الإصابة بشلل قد يعيق التنفس، واضطرابات نزفية يمكنها أن تؤدي إلى نزف مميت، وفشل كلوي يتعذّر تداركه، وضرر في النّسج يمكنه إحداث عجز دائم وقد يسفر عن بتر الأطراف في بعض الأحيان.

المزارعون والأطفال هم أشدّ الفئات تضرّرًا من لدغات الثعابين. وكثيرًا ما يعاني الأطفال من آثار أكثر وخامة، وذلك بسبب انخفاض كتلة أجسامهم مقارنة بالبالغين.. والملاحظ أنّ معظم تلك الحالات تحدث في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. ويُسجّل في أفريقيا وحدها حدوث نحو مليون من لدغات الثعابين كل عام، علماً بأنّ نصف تلك اللدغات تقتضي علاج من يتعرّضون لها» اهـ.

الوقفة الثانية: الفرق بين الحية، والأفعى، والثعبان، والحنش، من الناحية اللغوية

كثير منا يسمع عن الحية، والأفعى، والثعبان، والحنش، فيتساءل عن الفرق بينها، وهل هذه الأسماء بمعنى واحد، أم معان متعددة؟ وقد بين مجمع اللغة العربية الفرق بينها، وذلك بموقعه الرسمي على الشبكة العالمية، حيث أجاب على سؤال: «الفتوى (٢٦٤): ما الفرق بين الحيَّة والأفعى والثعبان؟ سؤال من: سعد الشريد، ما الفرق بين الحيَّة، والأفعى، والثعبان؟

الإجابة: الفرق بين الحيَّة والأفعى والثُّعبان:

الحَنَشُ المَعروفُ: يُطلقُ على الذكرِ والأُنثى، وتُجمع الحيَّة حَيَوات، وفي الحَديث لا بأسَ بقَتْلِ الحَيَوات جمع الحيَّة، واشتقاقُ الحيَّة من الحياة وهو في الأصل حَيْوَة أُدْغمَت الياءُ في الواو وجُعلتا ياءً شديدة. وللعرب أمثال كثيرة في الحيَّة، منها قولُهم: «هو أبْصَر من حيَّة» لحِدَّة بَصَرها، وقولُهم: «هو أظْلَم من حيَّة»؛ لأنها تأتي جُحْر الضَّبِّ فتأكل حِسْلَه وتسكُنُ جُحْرَه. ويقولون: «فلان حَيَّةُ الوادي» إذا كان شديد الشَّكيمَة حامياً لحَوْزَته، «وهُمْ حَيَّةُ الأرض»، إذا كانوا نهاية في الدَّهاء والخبث والعقل، ويُقالُ للرجل إذا طال عُمُره وللمرأة إذا طال عمرها ما هُو إلاّ حَيَّة، وما هي إلاّ حَيَّة، وذلك لطول عُمر الحيَّة كأنَّه سُمِّي حَيَّةً لطول حياته. وتُعرَفُ الحيَّةُ بسعْيها وسرعة تنقُّلها.

الأفعى:

قال شمر في كتاب «الحيَّات»: الأفْعَى من الحيَّات التي لا تَبْرَحُ أي لا تَسْعى كما تسعى الحيَّاتُ؛ إنما هي مُتَرحِّية، وتَرَحِّيها اسْتدارَتُها على نفسها وتَلَوِّيها، وهي لا تبرحُ مَكانَها، وإذا زَحفَت زَحفَت مُتَثَنِّيَةً بثنيين أو ثلاثة، وهي نوعٌ من أنواع الحيَّات، رَقْشاءُ دقيقةُ العُنق عريضة الرأس، وربما كانَت ذات قَرْنَين، كما قال ابنُ سيدَه، وتكون وَصفاً واسْماً والاسم أكثر والجمع أفاعٍ. والأُفْعُوانُ بالضَّمّ ذَكَر الأفاعي، وجَمع الأُفْعُوانَ كجمع الأفاعي، وأرض مَفْعاةٌ كثيرة الأفاعي.

الثُّعبان:

الثعبانُ الحيَّةُ الذكَر، قالَه الضحاك في تفسير قوله تعالى: «فإذا هي ثُعْبانٌ مبينٌ» وقال قطرب: الثُّعبانُ الحيَّةُ الذكرُ الأصْفَر الأشْعَرُ، وهو من أعظم الحيَّات، وقال شمر: الثُّعبانُ من الحيَّات ضَخْمٌ عظيم أحمر يَصيدُ الفأر، ويُسْتَعار في بعض الأماكنِ للفَأر؛ فهو لذلك أنفَعُ في البَيْت منَ السَّنانير أي القطط. ومن مُشتقات الثعبان الأُثْعبانُ، وهو الوَجْهُ الفَخْم في حُسْن بيَاض.

فالحيَّةُ تُطلقُ على عموم هذه الزَّواحف الطَّويلة، ويختصّ منها بهذا الاسم ما سَعى منها، وكانَ منها ذا دهاء وخُبث وفَتْك، والأفعى لا تبرحُ مكانَها وإذا مشت مَشتْ مُتثنِّيةً بثنيَيْن أو ثلاثة. أمّا الثُّعْبانُ فهو أضخمُها وقد يُستعانُ به لصَيْد الفأر، وإن كانَ ذلكَ غيرَ مأمون».

اللجنة المعنية بالفتوى: أ.د. عبدالرحمن بودرع (نائب رئيس المجمع) أ. د. عبد العزيز بن علي الحربي (رئيس المجمع) أ. د. محمد جمال صقر (عضو المجمع)» ا.هـ.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

أهمية الدعاء في حياة المسلم



إعداد/ معاوية هيكل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن الدعاء عبادة جليلة القدر عظيمة الشأن، وهو من أعظم الطاعات، وأنفع القربات التي يتقرب بها العبد إلى مولاه، والحديث عن الدعاء في هذا المقال سيكون بإذن الله تعالى من جهتين:

أولا: من جهة أهميته: فللدعاء أهمية كبرى، وثمرات جليلة، وفضائل عظيمة، وأسرار بديعة منها:

١- أن الدعاء طاعة لله وامتثال لأمره عز وجل: قال تعالى: « وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » (غافر: ٦٠)، وقال: « وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » (الأعراف: ٢٩)، فالداعي مطيع لله، مستجيب لأمره.

٢- الدعاء هو العبادة: قال تعالى: « وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » (غافر: ٦٠)، قال الإمام الشوكاني- رحمه الله-: «والآية الكريمة دلت على أن الدعاء من العبادة، فإنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه، ثم قال: « إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي »، فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار، ولا أقبح من هذا الاستكبار، وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالقه، ورازقه، وموجده من العدم، وخالق العالم أجمع، ورازقه، ومحييه، ومميته، ومثيبه، ومعاقبه؟! فلا شك أن هذا الاستكبار طرف من الجنون وشعبة من كفران النعم» (تحفة الذاكرين ص٢٨).

وكما جاء في الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء هو العبادة» (صحيح الجامع ٣٤٠٧).

٣- الدعاء أكرم شيء على الله: فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس شيء أكرم على الله عز

وجل من الدعاء» (صحيح الأدب المفرد ٥٤٩).

فالدعاء لمَّا كان هو العبادة، كان أكرم على الله من هذه الحيثية، لأن العبادة هي الغاية التي خلق الله سبحانه الخلق من أجلها، كما قال تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات: ٥٦) (تحفة الذاكرين ٣٠).

٤- الدعاء سبب لصرف غضب الله ودفعه عن العبد: فمن لم يسأل الله يغضبُ عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يسأل الله يغضب عليه» (صحيح الأدب المفرد ٥١٢)؛ ففي هذا الحديث دليل على أن الدعاء من العبد لربه من أهم الواجبات، وأعظم المفروضات، لأن تجنب ما يغضب الله منه لا خلاف في وجوبه (تحفة الذاكرين ٣١).

ولقد أحسن من قال:

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدم حاجة
وسل الذي أبوابُهُ لا تحجبُ
الله يغضبُ إن تركت سؤاله
وبُنَيُّ آدم حين يُسألُ يغضبُ

٥- الدعاء دليل على صدق التوكل على الله: فُسِرُ التوكل على الله وحقيقتُهُ هو اعتماد القلب على الرب وحده سبحانه وتعالى.

وأعظم ما يتجلى التوكل حال الدعاء، ذلك أن الداعي حال دعائه مستعين بالله، مفوض أمره إليه وحده دون سواه، ثم إن التوكل لا يتحقق إلا بالقيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطلها لم يصح توكله، والدعاء من أعظم هذه الأسباب إن لم يكن أعظمها.

٦- الدعاء وسيلة لسمو النفس وعلو الهمة: فبالدعاء تكبر النفس وتشرف، وتعلو الهمة وتتسامى، ذلك أن الداعي يأوي إلى ركن شديد، ينزل به حاجاته، ويستعين به في كافة أموره، وبهذا يقطع الطمع مما في أيدي الخلق، فيتخلص من أسرهم، ويتحرر من رقهم، ويسلم من منَّتهم.

وبالدعاء يسلم من ذلك كله، فيظل مُهاب الجناب، موفور الكرامة، وهذا رأس الفلاح، وأسُّ النجاح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته لقضاء حاجته ودفع ضرورته، قويت عبوديته له، وحريته مما سواه، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه» (العبودية ٩٥).

٧- الدعاء سلامة من العجز، ودليل على الكياسة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام» (صحيح الجامع ١٠٤٤)، فأضعف الناس رأيًا، وأدناهم همة، من عجز عن الدعاء، ذلك أن الدعاء لا يضره أبدًا، بل له فيه من المنافع ما لا يحصى.

٨- ثمرة الدعاء مضمونة بإذن الله: فإذا أتى الداعي بشرائط الإجابة فإنه سيحصل على الخير، وسينال نصيبًا وافرًا من ثمرات الدعاء ولابد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل، أو كف عنه من سوء مثله، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» (صحيح الجامع ٥٦٧٨).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من مسلم يدعو، ليس بإثم ولا بقطيعة رحم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها»، قال: إذا نكثر، قال: «الله أكثر» (صحيح الأدب المفرد ٥٤٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم ينصب وجهه إلى الله، يسأله مسألة إلا أعطاه إياها، إما عجلها له في الدنيا، وإما ذخرها له في الآخرة ما لم يعجل»، قالوا: يا رسول الله، وما عجلته؟ قال: «يقول: دعوت دعوت، ولا أراه يستجاب لي» (صحيح الأدب المفرد ٥٤٨).

ففي ما مضى من الأحاديث دليل على أن دعاء المسلم لا يهمل، بل يعطى ما سأله، إما معجلاً، وإما

مؤجلاً، تفضلاً من الله جل وعلا (تحفة الذاكرين ٣٣).

قال ابن حجر: «كل داع يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه» (فتح الباري ١١/٨٥).

٩- الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله: قال عليه الصلاة والسلام: «ولا يرد القدر إلا الدعاء» (السلسلة الصحيحة ١٥٤).

قال الشوكاني عن هذا الحديث: «فيه دليل على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة» (تحفة الذاكرين ٢٩).

وقال: «والحاصل أن الدعاء من قدر الله عز وجل، فقد يقضي على عبده قضاءً مقيدًا بأن لا يدعوه، فإذا دعاه اندفع عنه» (تحفة الذاكرين ٢٨).

١٠- الدعاء سبب لرفع البلاء بعد نزوله: قال صلى الله عليه وسلم: «من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئًا يعطى أحبَّ إليه من أن يسأل العافية، إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء» (تحفة الذاكرين ٣٠).

«ولهذا يجدر بالعبد إذا وجد من نفسه النشاط إلى الدعاء والإقبال عليه أن يستكثر منه، فإنه مجاب، وتقضى حاجته بفضل الله، ورحمته، فإنّ فتحَ أبواب الرحمة دليل على إجابة الدعاء» (تحفة الذاكرين ٢٨).

١١- الدعاء يفتح للعبد باب المناجاة وبركتها: فقد يقوم العبد لمناجاة ربه، وانزال حاجاته ببابه فيُفْتَح على قلبه حال السؤال والدعاء من محبة الله، ومعرفته، والذل والخضوع له، والتملق بين يديه ما ينسيه حاجته، ويكون ما فتح له من ذلك أحبَّ إليه من حاجته، بحيث يحب أن تدوم له تلك الحال، وتكون آثر عنده من حاجته، ويكون فرحه بها أعظمَ من فرحه بحاجته لو عجلت له وفاته تلك الحال (مدارج السالكين ٢/٢٢٩).

قال بعض العُبّاد: «إنه لتكون لي حاجةٌ إلى الله، فأسأله إياها، فيفتح لي من مناجاته، ومعرفته، والتذلل له، والتملق بين يديه ما أحبُّ معه أن يُؤخِّر عني قضاءها، وتدوم لي تلك الحال» (مدارج السالكين ٢/٢٢٩).

١٢- حصول المودة بين المسلمين: فإذا دعا المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيبت دعوته، ودل ذلك على موافقة باطنه لظاهره، وهذا دليل التقوى والصدق والترابط بين المسلمين، فهذا مما يقوي أواصر المحبة، ويثبت دعائمها، قال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا» (مريم: ٩٦).

والدعاء بلا شك من العمل الصالح الذي تحصل به هذه المودة بين المسلمين.

١٣- الدعاء من صفات عباد الله المتقين: قال جلّ شأنه عن أنبيائه عليهم السلام: «إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ» (الأنبياء: ٩٠)، وقال عن عباده الصالحين: «وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (الحشر: ١٠)، إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

١٤- الدعاء سبب للثبات والنصر على الأعداء: قال تعالى عن طالوت وجنوده لما برزوا لجالوت وجنوده: «قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ» (البقرة: ٢٥٠)، فماذا كانت النتيجة؟ «فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ» (البقرة: ٢٥١).

١٥- الدعاء مَفْزَعُ المظلومين، وملجأ المستضعفين: فالمظلوم أو المستضعف إذا انقطعت به الأسباب، وأغلقت في وجهه الأبواب، ولم يجد من يرفع عنه مظلمته، ويعينه على من تسلط عليه وظلمه، ثم رفع يديه إلى السماء، وبث إلى الجبار العظيم شكواه نصره الله وأعزه، وانتقم له ممن ظلمه ولو بعد حين.

ولهذا دعا نوح عليه السلام على قومه عندما استضعفوه، وكذبوه، وردوا دعوته.

وكذلك موسى عليه السلام دعا على فرعون عندما طغى، وتجبر، وتسلط، ورفض الهدى ودين

الحق، فاستجاب الله لهما، وحاق بالظالمين الخزي في الدنيا، وسوء العذاب في العقبى.

وكذلك الحال بالنسبة لكل من ظُلم، واستُضعف، فإنه إن لجأ إلى ربه، وفزع إليه بالدعاء أجابه بمنه وكرمه، وانتصر له وإن كان فاجرًا.

١٦- الدعاء دليل على الإيمان بالله، والاعتراف له بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته؛ فدعاء الإنسان لربه متضمن إيمانه بوجوده، وأنه غني، سميع، بصير، كريم، رحيم، قادر، مستحق للعبادة وحده دون سواه

ثانيًا: أنواع الدعاء

كل دعاء ورد في الكتاب والسنة فإنه يتناول نوعين اثنين ويندرج تحتهما، وهذان النوعان هما:

١- دعاء المسألة. ٢- دعاء العبادة.

قال الشيخ عبدالرحمن بن السعدي في كتابه القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص١٥٤-١٥٥): «كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين - يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة. وهذه قاعدة نافعة؛ فإن أكثر الناس إنما يتبادر لهم من لفظ الدعاء والدعوة دعاء المسألة فقط، ولا يظنون دخول جميع العبادات في الدعاء.

وهذا خطأ جرهم إلى ما هو شر منه؛ فإن الآيات صريحة في شموله لدعاء المسألة، ودعاء العبادة» اهـ.

تعريف دعاء المسألة: هو أن يطلب الداعي ما ينفعه، وما يكشف ضره.

أو هو ما تضمن مسألة، أو طلباً، كأن يقول الداعي: أعطني، أكرمني، وهكذا... وهذا النوع على ثلاثة أضرب:

١- سؤال الله ودعاؤه: كمن يقول: اللهم ارحمني واغفر لي، فهذا من العبادة لله.

٢- سؤال غير الله فيما لا يقدر عليه المسؤول: كأن يطلب من ميت أو غائب أن يطعمه، أو ينصره، أو يغيثه، أو يشفي مرضه، فهذا شرك أكبر.

٣- سؤال غير الله فيما يقدر عليه المسؤول: كأن يطلب من حي قادر حاضر أن يطعمه، أو يعينه فهذا جائز.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- «وقد مضت السنة أن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه. وأما المخلوق الغائب والميت فلا يطلب منه شيء». (انظر كتاب قاعدة جليلة في التوسل لابن تيمية ص١٦٥).

وقال ابن سعدي في (القواعد الحسان ص١٥٥): «ومن هذا قوله سبحانه في قصة موسى عليه السلام: (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) القصص: ١٥» اهـ.

تعريف دعاء العبادة: أما دعاء العبادة فهو شامل لجميع القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله سائل بلسان مقاله ولسان حاله ربَّه قبول تلك العبادة، والإثابة عليها؛ فهي العبادة بمعناها الشامل، ومن أعظم ما يدخل فيها ذكر الله، وحمده، والثناء عليه-عز وجل- بما هو أهله.

ولهذا «لو سألت أي عابد مؤمن: ما قَصدُك بصلاتك، وصيامك، وحجك، وأدائك لحقوق الله وحق الخلق؟

-لكان قلب المؤمن ناطقاً قبل أن يجيبك لسانه: بأن قصدي من ذلك رضى ربي، ونيل ثوابه، والسلامة من عقابه؛ ولهذا كانت النية شرطاً لصحة الأعمال وقبولها وإثمارها الثمرة الطيبة في الدنيا والآخرة». (انظر القواعد الحسان ص١٥٥).

ولهذا فصرف دعاء العبادة لغير الله يعد شركاً أكبر؛ لأن من يدعو غير الله إنما يتقرب إليه حتى يجيب دعاءه، ويثيبه على فعله.

«وهكذا دعاء المسألة إلا فيما يوجه للمخلوق الحي، الحاضر، القادر؛ فليس من العبادة؛ يدلك على ذلك موسى عليه السلام في سورة القصص، وهي قوله- سبحانه-: (فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ) (القصص: ١٥).

والأدلة على ذلك كثيرة. وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

واحة

من نور كتاب الله

الأشهر الحرم

قال تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ» (التوبة: ٣٦).

فضل شهر المحرم

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم» (صحيح مسلم).

من دلائل النبوة

إخباره صلى الله عليه وسلم عن انتهاء مُلك قيصر وكسرى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا هلَكَ كِسْرَى فلا كسرى بعدَه، وإذا هلَكَ قيصرُ فلا قيصرَ بعدَهُ. وقال: لَتُنْفَقَنَّ كنوزُهما في سبيل الله» (أخرجه البخاري ٣١٢١ واللفظ له، ومسلم ٢٩١٩).

فضل صيام عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم عاشوراء؟ فقال: «يُكَفِّر السنة الماضية» (صحيح مسلم).

من فضائل الصحابة

عن ابن أبي نجيح رضي الله عنه قال: «لما أُتي عمر بتاج كسرى وسواريه جعل يُقلبه بعود في يده ويقول: والله إنَّ الذي أدَّى إلينا هذا لأمين. فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنت أمينُ الله يؤدُّون إليك ما أدَّيتَ إلى الله فإذا رَتَعْتَ رَتَعُوا. قال: صَدَقْتَ» (رواه البيهقي في السنن الكبرى: ١٣٠٣٣)، وفي رواية: فقال له علي بن أبي طالب: «يا أمير المؤمنين! عَفَفْتَ فعَفُّوا، ولو رَتَعْتَ لرَتَعُوا».

التوحيد

إعداد: علاء خضر

من أقوال السلف

عن قتادة قال: سئل ابن عمر: هل كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال.

(مصنف عبد الرزاق)

من أخلاق حامل القرآن

عن ابن المبارك قال: «إنه ليعجبني من القراء كل طَلْق مِضْحَاك، فأما من تلقه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمن عليك بعمله فلا أكثر الله في القراء مثله» (شعب الإيمان).

من معاني الأحاديث

في صفة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم «كان يرتل آية آية».

ترتيل القراءة: التأني فيها والتمهل، وتبيين الحروف والحركات، تشبيها بالثغر المرتل. (النهاية لابن الأثير).

حكم ومواعظ

عن الحسن بن عبد العزيز الجردي قال: «عاتب رجل أخا له فقال: هل دللتني قط على مريض؟ هل دللتني قط على جنازة؟ هل دللتني على خير؟».

(شُعب الإيمان).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول: يا رب لإرسالك بي إلى النار أيسر علي مما ألقى- وإنه ليعلم ما فيها-؛ من شدة العذاب) أخرجه الحاكم (٥٧٧/٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٩١) وقال الحافظ: حديث منكر. (السلسلة الضعيفة للألباني).

دراسات شرعية

الحلقة (١٠٥)

أثر السياق في فهم النص

حجاب المرأة المسلمة (١٥)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: ما يزال حديثنا متصلاً -بفضل الله تعالى- حول أدلة الحجاب من القرآن والسنة، تكلمت عن آيات الحجاب وانتقلت إلى الأحاديث، ووصلت إلى الحديث الثانى عشر من أدلة الحجاب، وهو الحديث العمدة عند من قال بجواز كشف الوجه والكفين للمرأة، حديث عائشة رضي الله عنها: «.. يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه». لذا فقد توقفت عنده كثيرًا لأهميته في البحث، فمن ناحية سنده رأينا أن حديث أبي داود فيه خمس علل، وإن حديث البيهقي إسناده ضعيف وأن علته ابن لهيعة - وحررت أقوال أهل العلم في شأنه- ثم تكلمت عن أثر قتادة المرسل، وهل يحتج به أم لا؟ وبينت مذاهب العلماء في الاحتجاج بالمرسل. ووصلنا في البحث إلى قول بعض أهل العلم الذين قالوا: وعلى تقدير صحة الحديث فإنه يُحمل على ما قبل الحجاب، فيكون منسوخًا بالآثار التي وردت عن تغطية الوجه حال الإحرام.

وسأنتقل في البحث إلى القول بالنسخ، مبينا ماهيته وضوابطه وغير ذلك.

أولاً: تعريف النسخ: هو رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخ (متأخر عنه).

ثانيًا: كيف يُعرف النسخ: يعرف النسخ بأمور:

١- دلالة اللفظ عليه صراحة:

ا- مثال ذلك من القرآن: قوله تعالى: « ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ » (الأنفال: ٦٦)، وذلك في نسخ مصابرة الواحد بمائة في القتال.

ب- ومن السنة كما بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكرًا» (صحيح مسلم)

ج- وفي أقوال الصحابة: كتصريح الصحابي بالنسخ: كقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات

يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يُقرأ من القرآن» (صحيح مسلم).

(فائدة: قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن» ليس معناه على ظاهره - كما يظن - وإنما معناه قرب عهد النسخ من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى صار بعض الصحابة الذين لم يبلغهم النسخ يقرأه على أنه لم يُنسخ، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن قراءته، وأجمعوا على أن هذا لا يتلى. وهذا قسم من أقسام النسخ، وهو نسخ التلاوة وبقاء الحكم، ونظير ذلك نسخ آية رجم الزاني المحصن وبقاء الحكم (انظر معالم السنن للخطابي ٣/١٨٨، وشرح النووي على مسلم ١٠/ ٢٩).

٢- قرينة في سياق النص: كقوله صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني؛ قد جعل الله لهن سبيلاً.. الحديث (صحيح مسلم)؛ فهذا يشير إلى المنسوخ وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ (النساء: ١٥).

٣- بمعرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ: أي المتقدم والمتأخر، وهذا من الصعوبة بمكان إن لم يوجد صريحا في النص؛ لأن الصحابة يروي بعضهم عن بعض، فيروي المتأخر إسلامه عن المتقدم إسلامه، دون أن يصرح بمن تحمل عنه الحديث وهذا لا يقدح في صحة الحديث؛ لأن الصحابة كلهم عدول، كما هو مقرَّر عند أهل العلم، ومما يندرج تحت هذا: أن الأحكام الواقعة في حجة الوداع أو بعدها مما يعارض أحكامًا غير معلومة التاريخ، فما ورد في تلك الحجة أو بعدها ناسخ لتلك الأحكام؛ لأن في تلك الحجة كمال الدين.

٤- بالإجماع على أن هذا الحكم منسوخ: كنسخ وجوب صوم يوم عاشوراء بصوم شهر رمضان. (انظر الفصول في الأصول ٢/٢٨٢ - ٢٩٢).

ثالثًا: القاعدة أن الأصل عدم النسخ، وعلى من يقول بالنسخ أن يأتي بالدليل على دعواه.

رابعًا: هل ما ورد عن عائشة وأسماء رضي الله عنهما أنهن كن يخمرن وجوههن وهن محرمات، ناسخ لحديث عائشة رضي الله عنها - على تقدير صحته - كما ذكر ذلك بعض أهل العلم. قلت: هذا من القسم الذي يُعرف ناسخه من منسوخه بالتاريخ، بالمتقدم والمتأخر، فنحن نحتاج إلى: أولاً: معرفة تاريخ حديث عائشة رضي الله عنها الذي فيه: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه»

ثانيًا: معرفة تاريخ آثار عائشة وأسماء رضي الله عنهما.

قلت: إن أثر عائشة رضي الله عنها: «كان الرُّكبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحرمات؛ فإذا حاذوا بنا أسدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه» (أخرجه أبو داود وغيره)، وهو ضعيف لكنَّ له شاهدًا من حديث فاطمة بنت المنذر أنها قالت: كنا نُخَمِّر وجوهنا ونحن مُحْرِمات مع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها (موطأ مالك / إسناده صحيح).

وأثر عائشة رضي الله عنها - مع تقدير تحسينه بشواهده- يتعلق بأمهات المؤمنين، والنقاب واجب في حقهن بإجماع، وإنما البحث في غيرهن من النساء. وقد صح عنها أنها قالت: «المحرمة تلبس من الثياب ما شاءت إلا ثوبًا مسَّه ورس أو زعفران، ولا تتبرقع ولا تلثم، وتسدل الثوب على وجهها إن شاءت» (أخرجه البيهقي في سننه، وإسناده صحيح وسبق الكلام عنه في المقالات السابقة).

فكلام عائشة لغيرها من أمهات المؤمنين أن

إسدال الثوب على الوجه ليس على سبيل الإلزام، والا لما قالت: «إن شاءت» فيدل على الجواز أو الاستحباب، لكن لا يرقى إلى الوجوب.

وأثر فاطمة بنت المنذر عن تغطية وجهها مع أسماء رضي الله عنها قرينة لمن قال بالنسخ، وذلك لأنه متأخر فهو بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ففاطمة بنت المنذر تابعية ثقة حفيدة أسماء رضي الله عنها، فهو من ناحية متأخر - يقينًا - عن حديث عائشة رضي الله عنها الذى فيه جواز كشف الوجه والكفين، ومن ناحية أخرى فهو لا يختص بأمهات المؤمنين فقط، كأثر عائشة رضي الله عنها - مع تقدير ثبوته - كنا إذا حاذانا الركبان... الحديث.

لكن، يُثار تساؤل هل هذا الأثر كاف للقول بالنسخ أم هو قرينة يُستأنس بها فقط؟ أرى -والله أعلم- أنه غير كاف لإثبات النسخ عند مَن ذهب للقول به، ويعارضه آثار أخرى - سنراها بإذن الله - في حجة النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها، فأقول وهذا الأثر يستدل به القائلون بعدم وجوب تغطية وجه المرأة، وإن فعل أسماء وفاطمة يستدل به على جواز تغطية وجه المرأة المحرمة أو استحباب ذلك، وهم لم ينازعوا في ذلك.

يقول الخطابي: «فأما سدل الثوب على وجهها من رأسها فقد رخص فيه غير واحد من الفقهاء، ومنعوها أن تلف الثوب أو الخمار على وجهها أو تشد النقاب أو تتلثم أو تتبرقع، وممن قال بأن للمرأة أن تسدل الثوب على وجهها من فوق رأسها عطاء ومالك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل واسحاق وهو قول محمد بن الحسن وقد علق الشافعي القول فيه (معالم السنن ٢/ ١٧٩)، وفي كلام الخطابي أنه قال: «رخص فيه غير واحد من الفقهاء»، ولم يقل أوجبه.

ويقول ابن قدامة: والمرأة إحرامها في وجهها، فإن احتاجت سدلت على وجهها، وجملة ذلك: أن المرأة يحرم عليها تغطية وجهها في إحرامها كما يحرم على الرجل تغطية رأسه، لا نعلم في هذا خلافًا إلا ما روي عن أسماء أنها كانت تغطي وجهها وهى محرمة، ويحتمل أنها كانت تغطيه بالسَّدْل عند الحاجة، فلا يكون اختلافًا.

ثم قال: ويجتمع في حق المُحرِمَة وجوب تغطية الرأس وتحريم تغطية الوجه، ولا يمكن تغطية جميع الرأس إلا بجزء من الوجه، ولا كشف جميع الوجه إلا بكشف جزء من الرأس، فعند ذلك ستر الرأس كله أولى، لأنه آكد؛ إذ هو عورة لا يختص تحريمه بحالة الاحرام، وكشف الوجه بخلافه، وقد أبحنا ستر جملته (أي ستر الوجه) للحاجة العارضة، فستر جزء منه لستر العورة (الرأس) أولى (انظر المغني لابن قدامة (٣/ ٣٠١-٣٠٢).

يقول عبيد الله الرحماني المباركفوري عن حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.... (فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها..) وفى الحديث الرخصة للمرأة في ستر وجهها للحاجة كما فعلت عائشة ومن معها من النسوة وهن محرمات عند مرور الرجال عليهن (انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩/ ٣٧٨).

وفى الموسوعة الفقهية: «اتفق العلماء على أنه يحرم على المرأة في الاحرام سَتْر وجهها، لا خلاف بينهم في ذلك، والدليل عليه من النقل ما سبق في الحديث: «ولا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين..»، وإذا أرادت أن تحتجب بستر وجهها عن الرجال جاز لها ذلك اتفاقًا بين العلماء، إلا إذا خشيت الفتنة أو ظنت فإنه يكون واجبًا. (انظر الموسوعة الكويتية ٢/ ١٥٧).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



غزوة بني قريظة (٣)

إعداد: عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ولا إله إلا الله ولا نعبد إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، ونصلي على أشرف خلقه وإمام رسله وخاتم أنبيائه؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعدُ؛

أخي القارئ الكريم، وصل بنا الحديث عن غزوة بني قريظة في اللقاء السابق إلى بيان كيف استحق بنو قريظة ما أصابهم وهو بما كسبت أيديهم، وذكرنا الأدلة على ذلك من خلال كتاب الله سبحانه وتعالى، وهذا الذي انطلق منه الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه وفيما ذكرناه كفاية لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

أمـا مـن كـان في قلبه مـرض فهو لا يرعوي وإن جئتهم بكل آيـة؛ لأن المرض الذي في قلوبهم يحجبهم عن الفهم عن الله، وعن رسوله.

ونحن اليوم نقدم للقراء الكرام مـزيـدًا من الإيضاح يشمل أسباب الحكم الذي حكم به سعد بن معاذ رضي الله عنه، وبعض الفوائد الإيمانية والدروس المستفادة، وبالله التوفيق.

أولا: حيثيات حكم سعد:

سعد بن معاذ رضي الله عنه كان سيد الأوس، وكان بنو قريظة حلفاء الأوس، كما كان بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج، وكان الأوس يطمعون في حكم سعد بالتخفيف عن حلفائهم، كما حدث من قبل مع حلفاء الخزرج من بني النضير وبني قينقاع، كما أن اليهود من بني قريظة وقد نزلوا على حكم رسول الله ورضوا به فرحوا عندما أعلن النبي صلى الله عليه وسلم عن تحكيم سعد فيهم طمعًا في تخفيف الحكم عليهم، فماذا حدث؟

١- ثبت في صحيح البخاري: أن اليهود نزلوا على حكم رسول الله دونما قيد أو شرط، فرد الحكم فيهم إلى حليفهم سيد الأوس سعد بن معاذ. (انظر صحيح البخاري ٥/ ٢٤٤).

والحديث روته أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لسعد: هؤلاء- يعني اليهود- نزلوا على حكمك، ولما نطق بالحكم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «حكمت فيهم بحكم الله».

٢- لقد كان سعد رضي الله عنه ضمن الوفد الذي ذَهَبَ لتقصّي الحقائق عندما جاءه الخبر وهو في قلب المعركة، وفي قلب الحصار الذي فرضته الأحزاب على المدينة، فقد جاء هذا الوفد الذي فيه سعد إلى بني قريظة يطلب منهم الوفاء بالعهد والقيام بالتزاماتهم العسكرية للدفاع عن

المدينة بجانب المسلمين، كما تنص على ذلك المعاهدة المعقودة بين المسلمين واليهود، وقد سمع سعد كما سمع الوفد جواب اليهود من بني قريظة، كيف تجرأ هؤلاء القوم على سبِّ الرسول صلى الله عليه وسلم علنًا أمام الحاضرين، فقال لهم سعد رضي الله عنه وهو حليفهم والناصح لهم والمحذر: «إنكم علمتم الذي بيننا وبينكم من العهد وأنا أخاف عليكم مثل يوم النضير أو أمر منه، فقابلوا نصحه وتحذيره بفحش القول وسوء الأدب، كما ذكر صاحب البداية والنهاية، فقالوا له: «أكلت أير أبيك». والأَيْـر: هو الفَرَج. بهذا الرد الفاحش كان رد بني قريظة، فقال لهم كما ذكر ابن هشام: «وكان حليمًا هادئ الطبع عفيفًا».. غير هذا من القول كان أجمل بكم- يا بني قريظة- ثم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: من هو رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد».

فهكذا رأى سعد وسمع جرأة بني قريظة على نقض العهود، وظنوا أن الأمر قد حان لهم قطافه مع الأحزاب المجتمعة حول المدينة.

٣- وعندها تذكر سعد واستقر في خلده مدى خطورة الموقف ومبلغ ما يحمله اليهود في نفوسهم من طغيان وكفر وحقد على الإسلام والمسلمين، ولم يفارق هذا المشهد ذاكرة سعد، وكيف أن الإسلام وكل المنتسبين إليه، والمدينة وما في المدينة من أعراض وحرمات وثمار وحرث ونسل كان قاب قوسين أو أدنى من التخريب والتدمير بسبب عناد هؤلاء اليهود، وأنه لولا رحمة الله بالمسلمين يوم الأحزاب وحدوث المعجزة الخارقة في ذلك لانتهى الكيان الإسلامي إلى الأبد، ولم ينسَ سعد أن هؤلاء اليهود لو تمَّ لهم ما أرادوا وللأحزاب معهم النصر على المسلمين لما تورَّعوا عن فعل كل قبيح ولما أخذهم في كل مسلم إلاً ولا ذمة.

وبعد استعراض هذه الحوادث وهذه المواقف فإنَّ حكم سعد على هؤلاء اليهود، إنما جاء بعد دراسة وإلمام كامل بنفسيات هؤلاء اليهود واقتناع بأنهم جرثومة وباء قاتلة لا مفر من إبادتها.

وهذه هي الصورة التي صورها القرآن في نفسيات اليهود في كل زمان ومكان وسعيهم للإفساد في الأرض وإيقاد الحروب في كل الأنحاء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، واقرأ معي قول الحق تبارك وتعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (المائدة:٦٤)، فهؤلاء لا يزدادون إلا طغيانًا وكفرًا، فهم في حرب مستمرة ضد الإسلام وأهله إلى يوم القيامة، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه أن القتال بين المسلمين واليهود مستمر حتى قيام الساعة أو قرب قيامها، فقال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود». (رواه مسلم). ومن ظن أن اليهود يريدون سلامًا فهو واهم.

ثانيا: مقارنة بين رجلين وموقفين:

هذا موقف سعد بن معاذ رضي الله عنه، وهو من هو مكانةً ومنزلةً سيد في قومه، ومع قصر المدة التي عاشها من يوم أن أسلم حتى انتقل إلى جوار ربه واستقبلته ملائكة السماء وفرحت بلقائه، بل وأحب الله سبحانه وتعالى لقاءه، وهذه منقبة لم يؤثر مثلها لأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

كل هذه المناقب جاءت بها أحاديث صحيحة، وذكرها الإمام أحمد في فضائل الصحابة، وأن سعدًا لرجل المواقف حقًا وبطل المشاهد صدقًا، رجل تغلغل الإيمان في قلبه حتى صار يتنفس إيمانًا ومحبة لله ولرسوله ودين الإسلام، فلا عجب أن يقول قولته المشهورة حين طلب منه الحكم في بني قريظة وكلمه قومه، فقال قولته المشهورة: «لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم». (ابن هشام).

وقد حكم فيهم حكمًا وافق حكم الله ولم يحكم بالهوى ولا العاطفة، فهو يدخل تحت قوله تعالى: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» (المائدة:٥٤).

فهو رضي الله عنه مثال للمؤمن الذي يقدم محبة الله ورسوله وموالاة الله ورسوله والمؤمنين على كل ولاء، والبراء من الكفر وأهله، أما أهل النفاق وعلى رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول؛ زعيم المنافقين في المدينة، فله موقف آخر وكل المنافقين على شاكلته، كما قال الله تعالى عنهم: «فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ» (المائدة:٥٢).

وعندما حاصر الرسول صلى الله عليه وسلم بني قينقاع تبرأ من حلفهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه، فهو على شاكلة سعد بن معاذ رضي الله عنه، أما عبد الله بن أبي فقد تشبث بحلفهم وقال: إني رجل أخشى الدوائر. (من سيرة نور اليقين، لمحمد الخضر حسين).

كما ذكرت سورة الحشر موقف المنافقين من بني النضير وكيف أن هؤلاء المنافقين يوالون أعداء الله ويناصروهم لأنهم إخوانهم في الكفر، واقرأ إن شئت قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» (الحشر:١١)، وما بعدها، فقد نزلت في المنافقين في غزوة بني النضير، فالمنافقون في كل زمان ومكان يوالون أعداء الله على حساب دينهم، وعلى حساب المسلمين؛ لأنهم في الأصل إخوة الكافرين في الكفر وإن أظهروا الإسلام لمصلحة، وهدفهم الدنيا وليس الآخرة، أما أهل الإيمان الصادق فغايتهم الله ورسوله والدار الآخرة.

ثالثًا: ومما يستفاد من غزوة بني قريظة:

١- صدق النبي صلى الله عليه وسلم في البلاغ عن ربه، وأنه رسول آخر الزمان الذي كان تنتظره اليهود، ولكن منعهم الكِبْر والجحود عن اتباعه وما وقع في غزوة الأحزاب وبني قريظة أكبر دليل على تأييد الله لهذا النبي وللذين آمنوا، ولولا هذا النصر من الله لهلك المسلمون ولصاروا تحت سنابك خيل الأحزاب الذين جاءوا المدينة كالسيل الجارف، ولكن الله امتنّ على المسلمين بنصر من عنده، وأمرهم أن يذكروا هذه النعمة، ويضعوها نُصب أعينهم في كل وقت وحين، وسجَّلها في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا» (الأحزاب: ٩- ١٠)، لا شك هذا ظن المنافقين، «هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا» (الأحزاب:١١).

تصور أن الموقف بكل دقة وما أصاب المؤمنين بسبب خيانة بني قريظة، وبعد هذا التصور الدقيق للأزمة تأتي بُشْرَيَات النصر المؤزر: «وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا» (الأحزاب:٢٥)، وأعقب ذلك مباشرة الحديث عن بني قريظة: «وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا» (الأحزاب: ٢٦- ٢٧).

سبحان الله! هذا حكم الله في بني النضير فيمن ارتكب جريمة الخيانة العظمى ومظاهرة الأعداء ضد أبناء الوطن، وقد أوضحنا هذا مفصلاً فيما سبق، وحكم سعد بحكم الله؛ لأنه صادق مع الله ورسوله لا يبتغي إلا وجه الله والدار الآخرة، أما الذين يريدون الدنيا وزينتها من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، فهؤلاء أعوان الكفار في كل زمان ومكان، وهم سبب البلاء على شعوبهم وخاصة إن كانوا في مواقع القيادة، فهم بلاء على شعوبهم لأن الشعوب هي الضحية، وغالبًا ما تدفع الثمن باهظًا لمغامرات طلاب الزعامة.

٢- وأخيرًا نقول: هذه مواقف من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كان الوحي فيها قائدًا ودليلاً، الوحي المقروء والوحي الملائكي من جبريل عليه السلام وصحبه من الملائكة الكرام، فاتصال مباشر كان بين السماء والأرض في حياة النبي صلى الله عليه وسلم يؤيد ويقود، وإذا رُفع اتصال السماء بالأرض عن طريق جبريل وصحبه بموت النبي صلى الله عليه وسلم فقد بقي فينا القرآن الكريم وهدي الرسول الكريم محفوظًا بحفظ الله له، فإذا أردنا استنزال مدد السماء الملائكي مرة أخرى فعلينا بما أمر الله به، «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (آل عمران:١٠٣)، وعلينا الاستجابة لأمره حين أمرنا: «وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ» (الحج:٧٨).

فهما اعتصامان: اعتصام بكتاب الله فيه الهداية إلى الطريق المستقيم، واعتصام بالله فيه النصر والتأييد والفلاح، فهما متلازمان لمن أراد خَيْرَيْ الدنيا والآخرة، اللهم اهدنا الصراط المستقيم؛ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين، آمين، والحمد لله رب العالمين.



الثبات حتى الممات

إعداد: عبده الأقرع

الحمد لله الذي وعد بتثبيت المؤمنين، فقال سبحانه وهو أحكم الحاكمين: « يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ » (إبراهيم: ٢٧)، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الهادي إلى الصراط المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فإنَّ الثبات على الطريق، ولزوم الجادة حتى يأتي اليقين، آيةُ رشد المرء، وبرهان نُضْجه، ودليل سداد رأيه، ورجحان عقله بعد توفيق الله له، وإنَّ أرفع مراتب الثبات وأعلى درجاته، وأسمى غاياته: ثباتُ القلب على الحق واستقامته على الدين، وسلامته من التقلب، ولذا كانت الخشيةُ من الزيغ بعد الهدى: أدبَ أولي الألباب، ونهجَ أولي النُّهَى وسبيل الراسخين في العلم الذين يبتغون إلى ربهم الوسيلة ويزدلفون إليه يرجون رحمته ويخافون عذابه، قال الله تعالى: « هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » (آل عمران: ٧ - ٨).

وإنما هذا من القوم سؤال لربهم أن يثبِّتهم على ما هم عليه من حُسن نصرتهم بالإيمان بالله ورسوله، وما جاءهم به من تنزيله، حتى يقبضهم على أحسن أعمالهم وإيمانهم، فإنه إذا فعل ذلك بهم وجبت لهم الجنة؛ لأنه قد وعد سبحانه مَن فعل ذلك من عباده أن يُدخله الجنة، وهذا المقام الذي عليه هؤلاء الراسخون في العلم مقام رفيع يدل على كمال دينهم وحسن تعبُّدهم، وقوة صلتهم بربهم وخالقهم، وتمام التجائهم إليه وتذللهم بين يديه، يرجون رحمته ويخافون عذابه، ويسألونه الثبات على دينه القويم وصراطه المستقيم، وهذا تمام القدوة، وحُسن التأسِّي، وصدق الاتباع، فهذه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول: «يا مقلب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك». فقيل له في ذلك؟ قال: «إنه ليس آدميٌّ إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ». (صحيح الجامع: ٤٨٠١).

وهذا أنس رضي الله عنه يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». فقلت: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء». (صحيح الترمذي: ٢١٤٠).

قال البغوي رحمه الله: «فيه بيان أن العبد ليس إليه شيء من أمر سعادته أو شقاوته، بل إن اهتدى فبهداية الله إياه، وإن ثبت على الإيمان فبتثبيته، وإن ضلَّ فبصرفه عن الهدى، قال سبحانه وتعالى: « بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ » (الحجرات: ١٧)، وقال سبحانه وتعالى إخبارًا عن حَمْد أهل الجنة: « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ »

(الأعراف: ٤٣)، وقال الله عز وجل: « يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ » (إبراهيم: ٢٧). اهـ. (شرح السنة: ١٦٧/١).

فتبين بهذا أن الله تعالى هو الذي يتولى قلوب عباده، فيتصرف فيها بما شاء، لا يمتنع عليه شيء منها، ولا يَكِلها إلى أحد من خلقه، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خشي على هذه الثلة المؤمنة، والطليعة الراشدة مع ما بلغت من رسوخ الإيمان، وقوة اليقين، وصدق العبودية، ومع كون قرنها خير القرون، لما قال أنس رضي الله عنه: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم». فكيف بمن جاء من بعدهم من أهل العصور؟ لا سيما في هذا العصر الذي أطلت فيه الفتن وتتابعت على المسلمين، وعصفت بالقلوب ريح الشبهات والشهوات وفتح للناس من أبوابها ما لا منتهى له، وانبعث سيل من المغريات المغويات، وراجت بين كثير من أهل جلدتنا بدعٌ محدثات أدخلت على الدين وليست منه وأضحت في أعرافهم دينًا يُتعبد الله به، وقربى يزدلفون بها إليه سبحانه. والله المستعان.

فالإنسان في الدنيا عُرضة للفتن المُضلة، وقد حكى ربنا العليم الخبير الفعال لما يريد حال أقوام آخرين، فقال سبحانه: « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ » (الحج: ١١)، وقال سبحانه: « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ » (العنكبوت: ١٠).

وحسب الجميع قسم النبي صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق: «فوالله الذي لا إله غيره إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا». (متفق عليه).

إن من أعظم الفوائد التي يستفيدها المؤمن من هذا الحديث: الخوف من سوء الخاتمة، وعدم الاغترار بالأعمال الصالحة، ولسوء الخاتمة أسبابٌ تتقدم على الموت مثل البدعة، والنفاق، والكبر، وسائر المعاصي، ولذلك قال بعض السلف: المعاصي بريد الكفر كما أن القُبلة بريد الجماع، والغناء بريد الزنا، والنظر بريد العشق، والمرض بريد الموت. (الجواب الكافي: ص٣٣).

من وسائل الثبات على الدين:

١- اللجوء إلى الله تبارك وتعالى: فعلى العبد أن يلجأ إلى الله تعالى ويكثر من قول: «يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك»، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر منه، وفي هذا إعلام للأمة بأن نفسه الزكية صلى الله عليه وسلم إذا كانت مفتقرة إلى أن تلجأ إلى الله سبحانه لتثبيت قلبه فكيف الأمر بمن هو دونه؟! وكل العباد دونه، فما أحوج المسلم إلى تثبيت الله له على دينه القويم الذي هو سبب النجاة والفلاح في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٢- ومن أسباب الثبات على دين الله العمل بالعلم، قال الله تعالى: « وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا » (النساء: ٦٦- ٦٨).

«فالله تعالى يثبِّت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي هو القيام بما وُعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثباتٌ، يوفقون به لفعل الأوامر، وترك الزواجر، التي تقتضي النفسُ فعلها، وعند حلول المصائب التي يكرهها العبد، فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو الرضا أو الشكر، فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين عند الموت وفي القبر». (تيسير الكريم الرحمن: ٥٩/٢، ٩٦).

٣- التمسك بالكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، رضي الله عنهم أجمعين.

٤- الحذر من الذنوب أشد الحذر.

٥- المداومة على الأعمال الصالحة فإنها تزيد الإيمان، ومن داوم على شيء حال حياته رُجي أن يُختم له به عند مماته.

٦- محاسبة النفس قبل الموت، والاستعداد لملاقاته في أي وقت.

فالإنسان محتاج إلى بذل المساعي النافعة وسلوك المسالك الصالحة لينال رضى الله وهدايته وتوفيقه: « وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ » (محمد: ١٧).

فاللهم مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك، آمين.



عقد الأخُوَّة الصحيح لا ينقطع على طول الزمان الفسيح

إعداد د. عماد عيسى

الحَمدُ لله عَلى جَلائل نعَمه، وَفوَاضل آلائه وَقسَمه، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى خَيْر بَريَّته مُحَمَّد وَعترَته، وَمَنْ تَبعَهُ عَلَى دينه وَملَّته، وَبَعْدُ:

فإن عقد الأخوة إذا اشتدتْ آصرتُه لم يقبل الانفصام، وإذا فسد وانطوى صاحبُه على ضدِّ ذلك لم يقبل الالتئام، غير أن ذلك العقد لا يُحقَّق إلا بما يقتضي رفع لواء الإخاء حتى يصبح كالهدف، ولا يُوثق إلا بعقد رايات الأخوة والحرص عليه كاللؤلؤ في الصدف، والتخلي عن الشُّبَه والشُّبَه مما يعكر الصفاء ويمنع النقاء، ولا ريبَ أنَ الفراقَ الجميلَ خيرٌ من أُخُوّة على دَخَن.

أركان وشروط عقد الأخوة:

الأخُـوَّة تمثّل في علاقة المسلم بأخيه عقدًا وعهدًا وثيقًا غُرَّة غرره الإخلاص والصدق ودرة دُرره العقل والنصح، بيْد أن هذه الأخوَّة أصبحت عقدًا قد أهانه الاستعمال، وأذاله الابتذال حتى ذَبُلَ فرعُه وجفَّ ضرعُه، وأصبح هذا العقد كالكنز الذي ضُربتْ على بابه أقفالٌ حتى حيلَ بين الناس وبينها؛ لذا وقع الفساد ودبَّت القطيعةُ، وانتشرتْ الوقيعةُ، وهذا يصعُب الوصولَ إلى المراد، ويقلُّ النجاحَ في تحقيق الغرض.

لكن لو اتخذنا من الأخُوّة قضيَّةً لا نحققها إلا بالذهاب في طلبها والرحلة في تحصيلها، لا سيما في زمان الإدبار والمدابرة والقطيعة والمقاطعة فقد يُكتب لنا النجاحُ أو بعضُه إذا جَرَيْنا على رَسْمها

ومَضيْنا على حُكمها والتوفيق بيد الله تعالى، أما إذا أهملنا هذه الصفة الكريمة فلا يزال أمرنا في إدبار وزَوال وسعدُنا في سِفال وذهب عزنا كأمس الذاهب.

إن التداخلَ والتعاملَ بين الناس أمر جُبلتْ عليه النفوسُ ومُيِّلتْ إليه القلوب وقلَّ من الناس من لا يكون كذلك؛ إذ الإنسان مدني بطبعه والإنسان مشتقٌّ من الإيناس لأنه يحب الأنس وهو ضد الوحشة ولعقد التآخي شروطٌ ربما كانت مغمورة، وأركان أبوابها مهجورة، وأكثر الناس فيها لا يَرْكب متنَها بل هو أول نازل، وقليل منهم من يسير فيها وهو راجل منها:

أولًا: حسن النية:

وقد بدأت بالنية تيمنًا واستفتاحًا وتبركًا واستنجاحًا، وما أجمل النية في التآخي بأن تكون خالصة لله تعالى وحده قال تعالى: «وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ» (البينة: ٥)، والنية ركنٌ في كل عمل من أعمال القلب والجوارح، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"، وإذا صدقت النية استقام العبد. واهتدى وهل أُتينا إلا من قِبَل النيّة؟! وما وُفِّق أحدٌ إلا لصحة نيته ولا خُذل إلا لفسادها، ففضل النية عظيم، ورُبَّ رجل على فراشه نائم يسبق القائم الذي لا يفتر والصائم الذي لا يفطر.

هذا لعمرُك فضلٌ ليس يجحدُهُ
إلا حسودٌ عنيدٌ ما له أدبُ

ففساد النية في الصحبة يضرُّك ولا ينفعُك ويحطك ولا يرفعُك، وحسن النية في الأخوة أن تكون لله وحده ورجاء شفاعة الآخرة وللحوق بدرجات الصالحين في الجنة.

وانظر إلى الصحابة والسلف بعدهم لما حسنت النية في أخوتهم كان لهم شأن آخر فبعد ما كانوا يخبطون خبط عشواء ويمشون على غير السواء ويضعفون عن حمل تلك الأعباء فالفرقة والعداوة والبغضاء كانت هي الأصل بحيث يضعونها موضع الشفاء للداء فكيف يحصلونها وحالهم كالقابض على الماء؟!

لقد تمسكوا بالحق بعد ما لاح لهم وبان وعملوا به في أعقاب نزول « وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ » (آل عمران: ١٠٣)، بالفرقان حتى جاء الحق وزهق الباطل وبان، فقربُوا منّا السير، وهوّنوا علينا العسير، وعرّفونا كيف نسير، فاجعل من حال القوم شعارًا واتخذ أدبهم دثارًا حتى تصيب السهم المصيب، وتظفر منه بأوفر نصيب.

لقد اتخذوا الأخوة كالأمانة عرضًا، وتحمّلوها فرضًا، ومع أنّ الله تعالى خلق عباده على منازل ودرجات فجعل فيهم الضعيف والقويّ، والفهيم والغبيّ، والمطيع والعصيّ، والداني القريب والقصيّ، والمنقاد للخير والأبيّ إلا أنهم كانوا في الأخوّة على قرب من قدم سواء حتّى كانوا كمدار الأسْوَاء، وذلك لأنّ الله تعالى قد تداركهم بلُطفه العظيم، ومنَّ عليهم وهو البرُّ الرحيم؛ إذ بدون ذلك كانوا لا يستطيعون حيَلًا، ولا يهتدون بأنفسهم سُبُلًا، وبعدما قطعوا في طلب مرادهم مهامه فيحًا، وكابدوا من أحوال الناس حسنًا وقبيحًا، ولاقوا من المخالفين متجهّمًا وصبيحًا، وجاهدوا من كان مانعًا حتى صار مبيحًا، وأما من أصرَّ على ضلالته وقطيعته فبعضهم عاد طريحًا ومنهم من صار بسيف الحقِّ قتيلًا وجريحًا، وانقسم الناس بأخوة الصحابة إلى من أصاب عيشًا هنيئًا ومن مات لا مريحًا ولا مستريحًا.

لقد رحل أكثر أصحاب النوايا الحسنة، والصدور النقية، والنفوس الطاهرة، وبقي كثيرون ممن يغشون ويدلسون، ويكذبون ويلبّسون حتى ظن بعض الناس أن الحال ما حال (أي ما تحول) والأمر ما زال (أي لم يتغير).

نسأل الله أن يرزقنا صدق الأخوة ومحاسنها، ويجنبنا الزلل في القول والعمل.

وللمقال بقية إن شاء الله تعالى.

فقر المشاعر
الارتقاء بالمشاعر

إعداد: د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

فهناك أسباب عديدة توصل إلى إحياء المشاعر، والرقي بها، وتقطع دابر الجفاء، وتزيل علله وأدواءه.

ومما تحيا به المشاعر وترتقي ما يلي:

١- استشعار الأخوة الإسلامية: قال الله عز وجل: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» (الحجرات: ١٠).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». (رواه البخاري: ١٣، ومسلم: ٤٥).

والحديث في هذا السياق معلوم؛ ولذا لا يحتاج إلى التطويل.

وربما وردت إليه إشارات فيما سيأتي.

٢- استعمال الثناء الصادق المعتدل: فذلك مما يشعر الإنسان بقيمته، ويهزه إلى المكارم هزا، فيقوده إلى الصفح، والعفو، وإحسان الظن، والبذل.

كما أنه دليل على كرم سجية المادح، وعلى بعده عن الأثرة والشح؛ فهو من قبيل الكلمة الطيبة، والكلمة الطيبة صدقة.

ولا ريب أن هذه المعاني من أعظم ما يرتقي بالمشاعر، ويحفظ للناس أقدارهم، وينأى بهم عن السفاسف والمحقرات.

بل إن كرام الناس إذا مُدحوا أبت لهم هِمَمهم أن يكونوا دون ما مدحوا به؛ فمن ذلك ما حكي أن هارون الرشيد لما سمع قول الشاعر:

تراه في الأمن في درع مضاعفة
لا يأمن الدهر أن يُدعى على عَجَلِ

سأل عنه وعمن قيل فيه، فقيل له: لمسلم بن الوليد الشاعر، في قائد الجيوش يزيد بن مزيد الشيباني- وكان يزيد يقول للرشيد: والله يا أمير المؤمنين، لأحرصن على ألا أكذب شعرائي فيما يمدحونني به- فأمر الرشيد بإحضار يزيد على الحالة التي يُصادف عليها، فأحضروه وعليه ثياب خلوته مُلونة، فلما نظر إليه الرشيد في تلك الحالة، قال: أكذبت شاعرك يا يزيد! قال: فيم يا أمير المؤمنين؟ قال في قوله:

تراه في الأمن في درع مضاعفة
لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

فقال يزيد: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أكذبته، وإن الدرع عليَّ ما فارقتني، وكشف ثيابه، وإذا عليه درع مظاهرة. (نوادر في الأدب لمحمد المكي بن الحسين ص٩٤).

بل إن الثناء الصادق مما تنشرح له صدور العظماء، ويشعرهم بصواب ما هم عليه، ويقودهم إلى مزيد من الخير والإحسان، ويسد عليهم باب الكسل الذي يواجههم به المخذلون، والمبالغون في النقد.

ولهذا سلكت هداية القرآن الكريم هذا المهيع؛ فكم هي الآيات التي ورد فيها الثناء من الرب الكريم- جل وعلا- على بعض عباده الصالحين؟

إنها كثيرة جدًا، منها قوله تعالى في الثناء على

نوح عليه السلام: «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» (الإسراء:٣).

وقوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ» (هود:٧٥).

وقوله: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (النحل:١٢٠، ١٢١).

وقوله تبارك وتعالى في حق سليمان عليه السلام: «وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» (ص:٣٠).

وقوله في حق أيوب عليه السلام: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» (ص:٤٤).

وقوله في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم:٤).

أما السنة النبوية فحافلة في هذا المقام، ولو ألقيت نظرة في دواوينها وفي كتب المناقب منها على وجه الخصوص لرأيت عجبًا، وإليك طرفًا من ذلك.

جاء في الصحيحين عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ عَلِيٌّ، فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ قَالَ لَيَأْخُذَنَّ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّه وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللَّه وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّه عَلَيْهِ؛ فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ، وَمَا نَرْجُوهُ. فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَفَتَحَ اللَّه عَلَيْهِ.

وجاء في صحيح البخاري: عن عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِمَالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقَسَمَهُ فَأَعْطَى رِجَالاً وَتَرَكَ رِجَالاً فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّه ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّه إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّه فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ. فَوَاللَّه مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمْرَ النَّعَمِ. (البخاري: ٢٩٧٥، ومسلم: ٢٤٠٧).

فانظر إلى هذا الثناء، وانظر إلى أثره في عمرو بن تغلب رضي الله عنه حتى إنه استغنى أن يطلب مالاً، فكانت هذه الكلمة أحب إليه من حُمر النعم، وهي أنفس ما كانت عند العرب.

وجاء في الصحيحين: عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُنْتُ غُلامًا شَابًّا وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّه مِنَ النَّارِ، قَالَ فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ، فَقَالَ لِي لَمْ تُرَعْ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّه لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلا قَلِيلاً. (البخاري: ١١٢١، ١١٢٢، ومسلم: ٢٤٧٩).

وجاء في الصحيحين من حديث أسماء بنت عميس الطويل في الهجرة وما دار بينها وبين عمر بن الخطاب، وفيه:

قال: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ وَلَهُ وَلأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ».

قالت: قَالَتْ فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالاً يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: قَالَتْ أَسْمَاءُ فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى، وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي. (البخاري: ٤٢٣٠، ٤٢٣١، ومسلم: ٢٥٠٢).

وجاء في الصحيحين: عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ أَوْ قَالَ الْعَدُوَّ قَالَ لَهُمْ إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ. (البخاري: ٤٢٣٢، ومسلم: ٢٤٩٩).

فهذه أمثلة يسيرة من السنة، والمقام لا يحتمل الإطالة في ذلك، وإنما إشارات يتبين من خلالها أن الثناء الصادق سنة متبعة، وأن له آثاره الحميدة. وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

عامٌ هجريٌ، وعامٌ دراسيٌ جديدان

إعداد جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعدُ:

فمع بداية عام هجري جديد؛ كانت بداية عام دراسي جديد أيضًا، وإن كانت بداية العام الهجري في أذهان الكثيرين ما هي إلا ذكرى تمر بسلام ولا ترتبط بآلام. أما بداية العام الدراسي فتعني بداية فترة من الكفاح الدامي، والهَمّ المتنامي، فقد بدأت الدروس الخصوصية لكل فرقة دراسية، وحتى أصغر الأولاد سنًا فقد بلغ من العمر ثلاث سنوات، فتطلبه الحضانات. كان الله في عون هذه الأسَر، فمن أين ستنفق ولا مُدَّخَر؟!

لكنه: لا بد من التذكير بأن مرور عام ومجيء آخر هو الأولى بالتدقيق والنظر، فالعبد بين مخافتين؛ بين أجل قد مضى لا يدري ما الله قاضٍ فيه، وبين أجل بقي لا يدري ما الله فاعل فيه.

أما أعباء دخول العام الدراسي فيهونها قليل من الصبر وحُسْن التدبير.

عام هجري جديد:

الواجب في حق المسلم العاقل أن يفهم ويُفَهِّم أسرته ورعيته أن الهجرة تعني المناسبة العظيمة في الإسلام التي أَذِن الله تعالى فيها لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأصحابه الكرام بالفرار بدينهم؛ من أرض الكفر والقهر والفتنة الشديدة؛ إلى أرض هي محضن للدعوة الجديدة والأمة الوليدة.

وفي المقابل تركوا ديارهم وأموالهم ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر: ٨).

هان عليهم كل شيء من أجل نصر الله ورسوله، وإعزاز دينه، فأعزهم الله تعالى فصاروا قادة للأمم، بعد أن كانوا رعاة للجمال والغنم، وما هي من المحسنين ببعيد.

وذكرى الهجرة تُذَكِّرُ الكُسالَى بأن القعود والكسل، والتثاقل إلى الأرض عن العمل، لن يطيل الأجل، ولن يحقق الأمل، ولن يحل مشكلة، أو يقضي على معضلة.

الهجرة كانت استحياء أمة أراد أعداؤها قتلها ووأدها، والهجرة فراق أهل المعاصي، والبعد عن المثبطين الغارقين في أوحال الشرك والمعصية.

وليست الهجرة طقوسًا واحتفالات، وأطعمة ومشروبات، ولا مناسبة ذهنية، في نفوس من باعوا القضية، ولم يعرفوا الهدف من خلق البشرية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦-

٥٧).

الهجرة كذكرى ومناسبة أن تجمع أهل بيتك، وتقوم بواجبك ودورك؛ وتخاطبهم: يا بنات؛ ماذا فعلت أسماء بنت الصديق في الهجرة وما كان دورها؟، وكيف عانت أم سلمة في الهجرة هي وزوجها وولدها؟

يا أبنائي؛ كيف تمت الهجرة، وما دور الشباب فيها، ثم ما دوركم أنتم في الحياة؟ هل هو إيجابي (دعوة، وعبادة، ونفع لعباد الله). أم هو سلبي (ترك للطاعة وبُعد عن شرع الله، وفعل المحظورات، وتكثير للشر وأهله)؟ لا بد من تفقد أحوال الأسرة، والتتميم عليها، فإن الله تعالى سائل كل أبوين عن ما استرعاهما، فلنعد لكل سؤال جوابًا.

عام دراسي جديد:

جاء العام الدراسي بأحواله وأهواله؛ شنط وأحذية، وملابس جديدة وتغذية، ودروس خصوصية يا ليتها معها التربية، وتنقلات وأجور سيارات، وشحن موبايلات، للاتصالات واللقاءات.

والآباء هم الضحية، ما الحل في تلك القضية؟ فلعله في تنظيم النسل وتحديد الذرية، وهيهات!!!

إن سوء التربية وراء كل عَنَت وعناء، وبؤس وشقاء، فالأولاد بنين وبنات يتابعون كل جديد في المعروضات، من تفصيلات وموضات. وهل سيلبسون ملابس عام فات؟ هذا من رابع المستحيلات!!

وهل سيدخل الأولاد إلى العيد دون شراء الجديد؟ وهل سيظهرون أمام زملائهم بملابس العام الماضي؟ والشنطة كُسرت منها السوستة، والقميص سقط منه أحد أزراره، والمرتب لا يكفي، فلتشتغل الأم أي شغل للمساعدة، ويضطر الأب لمد اليد، فلا ينجز مصالح الناس في وظيفته إلا بأخذ عمولة، وتعاطي الرشوة، ثم نبحث عن قرض، ويا ليته قرض حَسَن، لكنه قرض سيء، فهو بفوائد مركبة تتراكم مع التأخير في السداد، وعندنا بنت جاءها خاطب هذه السنة، سنشتري ما سنجهزه لها بالتقسيط، لكننا عندنا قسط آخر نسدده في شراء الشاشة ٣٢ بوصة، وعلينا قسط جمعية كنا قبضناها قبل ذلك ونقوم بسدادها، وعندنا بنت وأخوها تخرجا في الجامعة ولم نجد لهما عملاً حتى الآن، إنها الحياة البئيسة، والدنيا التعيسة، والكوارث تلو الكوارث، ساء ما يفعل الموروث والوارث.

يُسر الدين وسعادة أهله (حل المشكلة):

إن في ديننا حلًا لكل هذه المشاكل؛ ألم يقل لنا ربنا وخالقنا ومربينا سبحانه وتعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٧). «وَمَنْ قُدِرَ»؛ يعني: من كان رزقه ضيقًا فلا يبالغ ويتكلف ما لا يطيق.

الله أكبر؛ والله إن الآيات كالبلسم، تشفي الغليل، وتداوي العليل، وتُغني بالقليل، وتضع عن كاهلك الحِمل الثقيل. فلو ربينا أولادنا من الصغر على الرضا بما قسم الله، ولم نتكلف ما ليس عندنا، وأعطينا الأولاد الأسوة الصالحة في سلفنا الصالح؛ لما كانت الأحوال بهذا السوء، لكن الأولاد بنين وبنات تربوا على الأحلام ورؤية الأفلام، وتقليد الكفرة في لبسهم وشكلهم وشعورهم، فكانت الكبوة.

ألم يلبس رسولنا صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الخلق على الله؛ ألم يلبس نعله مرقوعة، وثوبه كذلك؟، بل كان يخصف نعله بيديه الشريفتين، ثم يلبسهما، ويخيط ثيابه بنفسه، ويلبسها ويخرج ليقابل الناس فيها، لكن مع نظافتها وطهارتها وطيب رائحتها.

ألم يفتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس، وقابل الوفود والكبراء وثيابه مرقوعة برقاع كثيرة؟ وحتى في الأعياد والمناسبات التي تحتاج إلى لبس الجديد من الثياب؛ كانت المسلمة أيام النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون عندها الثوب الذي تخرج فيه للعيد، وقد أمر النبي عليه الصلاة والسلام النساء جميعًا بالخروج لشهود العيد، فتقول إحداهن: يا رسول

الله؛ أعَلَى إحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج؟ قال: « لتُلْبِسها صاحبتها من جلبابها، ولتَشْهَد الخير ودعوة المسلمين». قال ذلك لأن المسلمين المؤمنين كنفس واحدة، في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، كما جاء بالحديث الشريف.

ألم يكن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما لا يجد ما يلبسه وهو مرابط في ساحة المعركة (غزوة الأحزاب)، وكان البرد شديدًا؟ يقول رضي الله عنه: « وما عليَّ جُنة (وقاية) من العدو، ولا من البرد، إلا مِرْط لامرأتي، ما يجاوز ركبتي». البداية والنهاية لابن كثير (١٣١/٤). والمروط: أكسية من صوف أو خز(حرير) كان يؤتزر بها، واحدها مرط. وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يغلس بالفجر فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يُعرفن من الغلس. تهذيب اللغة (٢٣٤/١٣). فالمِرْط كساء يشبه الملاءة التي تُفرش على السرير الآن.

فكانوا- وهم خيار خلق الله- يرضون بالقليل، لا يريدون من هذه الدنيا لا قليلاً ولا كثيرًا، إلا ما يرجونه عند الله: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ » (فاطر: ٥).

إنها الدنيا الغرورة والشيطان المضل المبين، إنها العادات والتقاليد وضغط الواقع، حتى شقي الناس وصاروا يعيشون الحياة التعيسة، والأيام البئيسة. ولا نطالب الناس أن يتركوا ما أحل الله لهم، وما وسع به عليهم ليجلسوا على فرو ذبائحهم، أو يركبوا الحمير والبغال ويتركوا سياراتهم، ولا يتركوا ملاعقهم ليأكلوا بأصابعهم. وإنما نقول ما قال الله جل وعلا، والآية أوضح ما تكون للأعمى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَة مِنْ سَعَته وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْه رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ ممَّا آتَاهُ اللَّه لا يُكَلِّفُ اللَّه نَفْسًا إلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّه بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا).

بمعنى: كُلْ والبس الموجود ولا تتكلف المفقود. والآباء عليهم مسئولية كبيرة في تربية أبنائهم على ذلك. وانظروا إلى التربية النبوية، من سيد البشرية، لابنته فاطمة سيدة بنات الأمة المحمدية:

عن عليٍّ رضي الله عنه، أن فاطمة عليها السلام اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن، (يعني: تعبت من طحْن الحب لعمل الخبز) فبلغها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيَ بسبي (خدم)، فأتته تسأله خادمًا، فلم توافقه (فلم تجده)، فذكرت (شكواها) لعائشة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك عائشة له، تقول فاطمة: فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلنا مضاجعنا، فذهبنا لنقوم، فقال: «على مكانكما». حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: «ألا أدلكما على خير مما سألتماه، إذا أخذتما مضاجعكما فكبِّرا الله أربعًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وسبحا ثلاثًا وثلاثين، فإن ذلك خير لكما مما سألتماه». (صحيح البخاري ح٣١١٣ ومسلم ح٢٧٢٧).

قال ابن بطال: «إن النبي عليه الصلاة والسلام قال لفاطمة: يا بُنية؛ اصبري فإن خير النساء التي نفعت أهلها»..... قال: قال المهلب: وفي هذا الحديث من الفقه أن المرأة الرفيعة القدْر، يَجْمُل بها الامتهان (تقوم بالمهنة) في المشاق (ما فيه \مشقة) من خدمة زوجها؛ مثل الطحن وشبَهه، لأنه لا أرفع منزلة من بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم كانوا يؤثرون الآخرة ولا يترفهون عن خدمتهم احتسابًا لله وتواضعًا في عبادته. وفيه: إيثار التقليل من الدنيا والزهد فيها رغبة في ثواب الآخرة، ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «ألا أدلكما على خير مما سألتما»، فدلهما على التسبيح والتحميد والتكبير. شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٤١/٧).

ونكرر مرة أخرى: إننا لا نقول للناس: ارجعوا لركوب الحمير، والنوم على الحصير، وإنما خذوا العبرة، واقتدوا بأهل القدوة والأسوة؛ أنبياء الله ورسله، وصالحي أقوامهم. والآية رحمة لأهل كل زمان ومكان.

«لِيُنْفِقْ ذُو سَعَة مِنْ سَعَته وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْه رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ ممَّا آتَاهُ اللَّه لَا يُكَلِّفُ اللَّه نَفْسًا إلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّه بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا».

كلٌ على قدْر ما رزقه الله تعالى، وكل عام وأنتم جميعًا بخير، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢١٩)

قصة عمر رضي الله عنه وجزور عام الرمادة

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، ومما ساعد على انتشارها وجودها في بعض الكتب المسندة، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد/ علي حشيش

أولاً: المتن:

يُرْوى عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال: كَانَ عُمَرُ يَصُومُ الدَّهْرَ، قَالَ: فَكَانَ زَمَانُ الرَّمَادَةِ إِذَا أَمْسَى أُتِيَ بِخُبْزٍ قَدْ ثُرِدَ بِالزَّيْتِ، إِلَى أَنْ نَحَرُوا يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ جَزُورًا فَأَطْعَمَهَا النَّاسَ، وَغَرَفُوا لَهُ طَيِّبَهَا فَأُتِيَ بِهِ، فَإِذَا فِدَرٌ مِنْ سَنَامٍ وَمِنْ كَبِدٍ، فَقَالَ: « أَنَّى هَذَا؟ »، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْجَزُورِ الَّتِي نَحَرْنَا الْيَوْمَ، قَالَ: « بَخٍ بَخٍ، بِئْسَ الْوَالِي أَنَا إِنْ أَكَلْتُ طَيِّبَهَا وَأَطْعَمْتُ النَّاسَ كَرَادِيسَهَا، ارْفَعْ هَذِهِ الْجَفْنَةَ، هَاتِ لَنَا غَيْرَ هَذَا الطَّعَامِ »، قَالَ: فَأُتِيَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، قَالَ: فَجَعَلَ يَكْسِرُ بِيَدِهِ وَيَثْرُدُ ذَلِكَ الْخُبْزَ، ثُمَّ قَالَ: « وَيْحَكَ يَا يَرْفَا! احْمِلْ هَذِهِ الْجَفْنَةَ حَتَّى تَأْتِيَ بِهَا أَهْلَ بَيْتٍ بِثَمْغٍ، فَإِنِّي لَمْ آتِهِمْ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَأَحْسَبُهُمْ مُقْفِرِينَ، فَضَعْهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ».

ثانياً: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة:

١- أخرجه الإمام محمد بن سعد بن منيع الزهري المتوفى سنة (٢٣٠هـ) في «الطبقات الكبرى» (١٦٦/٣) قال: «أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال: كان عمر يصوم الدهر....» القصة.

٢- وأخرجه أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ في «أنساب الأشراف» (٣٨٣/١٠) عن محمد بن سعد عن الواقدي به.

فائدة: قال الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١٠/٧٤/٦): أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري سمع بالعراق من علي بن المديني (شيخ البخاري) ومن محمد بن سعد كاتب الواقدي وآخرين.

٣- وأخرجه أبو الفضل سبط الإمام ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤هـ في كتابه «الجليس الصالح» (ص١٣٨) قال: «أخبرنا الخطيبان عبد الله بن النفيس الأنباري، وأبو القاسم عبد المحسن الطوسي قالا: أخبرنا محمد بن أبي طاهر قال: أخبرنا أبو محمد الجوهري قال: أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال: أخبرنا أبو الحسن ابن معروف، قال: أخبرنا ابن الفهم قال: حدثنا محمد بن سعد به».

فائدة: سبط ابن الجوزي هو يوسف بن قزغلي بن عبد الله أمه بنت الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.

٤- وأورده أبو الفضل سبط الإمام ابن الجوزي في «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٣٧٧/٥).

٥- وأخرجه الإمام ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ في كتابه «مناقب عمر» (ص٧١).

٦- وأخرجه ابن المبرد الحنبلي يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصالحي المتوفى سنة ٩٠٩هـ في كتابه «إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحوال الولاية والإمامة» (ص١٦٦، ١٦٧) قال: «وبه إلى ابن الجوزي أخبرنا محمد بن أبي طاهر، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو عمر بن حيويه أخبرنا أبو الحسن بن معروف، حدثنا الحسين بن الفهم حدثنا محمد بن سعد به».

٧- وأورده أيضًا ابن المبرد الحنبلي في كتابه «محص الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (٣٦٢/١).

٨- وأورده أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد محب الدين الطبري المتوفى (٦٩٤هـ) في كتابه «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣٨٥/٢).

٩- وأورده الإمام ابن الجوزي في كتابه «صفوة الصفوة» (٢٨٣/١).

ثالثًا: التحقيق:

١- مما ذكرناه آنفًا من التخريج للخبر الذي جاءت به هذه القصة يتبين أن هذا الخبر غريب انفرد به محمد بن عمر الواقدي المدني، وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٩٩٣/٦٦٢/٣): «وقال أبو داود: بلغني أن علي بن المديني قال: كان الواقدي يُرْوي ثلاثين ألف حديث غريب».

٢- قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١٨٢/٢): قال أحمد بن حنبل في «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير وعامتها عن الضعفاء».

وقال الإمام مالك: «شرُّ العلم الغريب».

وقال أبو يوسف: «من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب».

٣- ومحمد بن عمر الواقدي المدني هو علة هذا الخبر الغريب، قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (١٧٨/١/١): «محمد بن عمر الواقدي مدني سكتوا عنه وتركه أحمد وابن نمير».

فائدة: قال الإمام الذهبي في «الموقظة» (ص٤٨): «أما قول البخاري: «سكتوا عنه» فظاهرها أنهم ما تعرضوا له بجرح ولا تعديل، وعلمنا مقصده بها بالاستقراء أنها بمعنى تركوه».

لذلك نجد أن الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣٣٤) قال: «محمد بن عمر الواقدي: متروك الحديث». اهـ.

٤- وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥٣١): «محمد بن عمر الواقدي: متروك». اهـ.

فائدة: تبين مصطلح النسائي إذا قال في الراوي: «متروك».

قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٥- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٤١/٦) (١٧١٩/٩٨):

أ- سمعت عبد الملك بن محمد يقول: حدثنا عبد الوهاب بن الفرات الهمداني سألت يحيى بن معين عن الواقدي فقال: «ليس بثقة».

ب- قال معاوية: قال لي أحمد بن حنبل محمد بن عمر بن الواقدي: «كذاب».

جـ- ثم ختم الإمام ابن عدي ترجمة الواقدي فقال: «أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه». اهـ.

٦- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٩٠/٢):

أ- «محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي المديني يروي عن مالك وأهل المدينة كان ممن يحفظ أيام الناس وسيرهم وكان يروي عن الثقات المقلوبات وعن الأثبات المعضلات حتى ربما سبق إلى القلب أنه كان

المعتمد لذلك كان أحمد بن حنبل يكذبه».

ب- وقال: سمعت محمد بن المنذر، سمعت عباس بن محمد، سمعت يحيى بن معين يقول: «الواقدي ليس بشيء».

جـ- وقال: أخبرني محمد بن عبد الرحمن: سمعت أبا غالب ابن بنت معاوية بن عمرو: سمعت علي بن المديني يقول: «الواقدي يضع الحديث».

٧- وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٠/١/٤): «حدثنا أحمد بن سلمة النيسابوري، حدثنا إسحاق بن منصور قال: قال أحمد بن حنبل: كان الواقدي يقلب الأحاديث يلقي حديث ابن أخي الزهري على معمر ونحو هذا، قال إسحاق بن راهويه: كما وصف وأشد؛ لأنه عندي ممن يضع الحديث». اهـ.

وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبو بكر بن أبي خيثمة فيما كتب إلى قال: سمعت يحيى بن معين يقول: «لا يكتب حديث الواقدي ليس بشيء». اهـ.

وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عن محمد بن عمر الواقدي المديني فقال: «متروك الحديث». اهـ.

٨- وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٩٩٣/٦٦٢/٣): «قال المغيرة بن محمد المهلبي، سمعت ابن المديني يقول: الهيثمي بن عدي أوثق عندي من الواقدي، ولا أرضاه في الحديث ولا في الأنساب ولا في شيء».

قلت: هذه المقارنة بين الهيثم بن عدي، وبين الواقدي والتي حكم فيها الإمام الحافظ علي بن عبد الله بن المديني فقال: «الهيثم بن عدي أوثق عندي من الواقدي». اهـ.

فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن هذا الحكم فيه توثيق للهيثم بن عدي ولا يدري أنها مقارنة لبيان الضعف الشديد للواقدي بالنسبة للهيثم بن عدي.

يتبين ذلك من أقوال أئمة الجرح والتعديل في الهيثم بن عدي والتي نقلها الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٣١١/٣٢٤/٤): قال الإمام البخاري: «الهيثم بن عدي ليس بثقة، كان يكذب».

وقال يحيى بن معين: «ليس بثقة، كان يكذب».

وقال أبو داود: «كذاب»، وقال النسائي وغيره: «متروك الحديث». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن الهيثم بن عدي: ليس بثقة كذاب متروك الحديث. اهـ.

وبهذا يتبين معنى قول الإمام الحافظ علي بن المديني: «الهيثم أوثق عندي من الواقدي». فهذا أمر نسبي وعند الإطلاق فالهيثم: ليس بثقة كذاب، وأشد منه جرحًا الواقدي فهو ليس بثقة كذاب يضع الحديث، أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه.

رابعًا: الاستنتاج:

نستنتج من التخريج وجمع طرق الخبر الذي جاءت به القصة والتحقيق:

أنَّ القصة واهية والخبر الذي جاءت به: «خبر غريب موضوع».

ولقد بين الإمام السيوطي في «التدريب» (٢٧٤/١) النوع (٢١) حدَّ هذا الحكم فقال: «الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٤): «والطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع».

خامسًا: نقد المتن:

١- وفيه رد على أشهر شبهة عند المستشرقين ومقلدتهم الذين يجترون أفكارهم ويرددونها، فمن مزاعم المستشرقين «شاخت» ما ادعاه- جهلًا وبهتانًا- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي، أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي، وهو نقد المتن». اهـ.

قلت: وهذا الادعاء لجهلهم حتى بتعريف «علم الحديث» الذي بينه الإمام السيوطي في «الألفية»:

علم الحديث ذو قوانين تحد
يدري بها أحوال متن وسند
فذانك الموضوع والمقصود
أن يعرف المقبول والمردود

٢- لذلك قال الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني في كتابه «الأنوار الكاشفة لما في كتابه أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة» (ص٢٦٣): «ولما كان الأئمة قد راعوا في توثيق الرواة النظر في أحاديثهم، والطعن فيمن جاء بمنكر، صار الغالب أن لا يوجد حديث منكر إلا وفي سنده مجروح أو خلل، فلذلك صاروا إذا استنكروا الحديث نظروا في سنده فوجدوا ما يبين وهنه فيذكرونه، وكثيرًا ما يستغنون بذلك عن التصريح بحال المتن، وانظر إلى كتب العلل وما يعل من الأحاديث في التراجم تجد غالب ذلك مما ينكر متنه، ولكن الأئمة يستغنون عن بيان ذلك بقولهم: منكر، أو نحوه أو الكلام في الراوي». اهـ.

٣- تطبيق هذا المنهج القويم على علة هذه القصة محمد بن عمر الواقدي، فقد نقل الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢١/١/٤): «أن الإمام يحيى بن معين قال: نظرنا في حديث الواقدي فوجدنا حديثه عن المدنيين عن شيوخ مجهولين أحاديث مناكير، فقلنا: يحتمل أن تكون تلك الأحاديث المناكير منه، ويحتمل أن تكون منهم، ثم نظرنا إلى حديثه عن ابن أبي ذئب، ومعمر، فإنه يضبط حديثهم، فوجدناه قد حدث عنهما بالمناكير، فعلمنا أنه منه فتركنا حديثه». اهـ.

٤- دليل نكارة متن القصة والتي تبين من السند أنها موضوعة: هذا المتن في جميع طرقه عن محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال: «كان عمر يصوم الدهر، فكان زمان الرمادة...» القصة.

قلت: انظر إلى هذه القرينة «كان عمر يصوم الدهر»، وقصة «عمر وجزور عام الرمادة: بجميع طرقها مفتتحة بهذه العبارة: كان عمر يصوم الدهر».

ولقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (ح١١٦٢) لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصة يتبين منها نكارة قصة «عمر وجزور عام الرمادة».

قال الإمام مسلم في «صحيحه» (كتاب الصيام) (ح١٩٦) حدثنا يحيى التيمي وقتيبة بن سعيد جميعًا عن حماد قال يحيى: أخبرنا حماد بن زيد عن غيلان، عن عبد الله بن معبد الزماني، عن أبي قتادة: رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كيف يصوم؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رأى عمر رضي الله عنه غضبه قال: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، نعوذ بالله من غضب الله، وغضب رسوله، فجعل عمر رضي الله عنه يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، كيف بمن يصوم الدهر كله؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا صام ولا أفطر. أو قال: «لم يصم ولم يفطر».

وأخرجه الإمام أبو داود السجستاني في «السنن» (ح٢٤٢٥) كتاب (الصوم) باب «في صوم الدهر» قال: حدثنا سليمان بن حرب ومسدد قالا: حدثنا حماد بن زيد به.

وفيه قال عمر: يا رسول الله، كيف بمن يصوم الدهر كله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «لا صام ولا أفطر».

قلت: فإذا كانت هذه قصة صحيحة ثابتة يسأل فيها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم الدهر كله، ويسمع عمر رضي الله عنه الإجابة من النبي صلى الله عليه وسلم: «لا صام ولا أفطر». وهذا الحديث أورده الإمام ابن قدامة في «المغني» (٤٣٠/٤) وقال: «ويقوي عندي أن صوم الدهر كله مكروه». اهـ.

كذا في «الفقه على المذاهب الأربعة» (ط. وزارة الأوقاف) (ص٥٢٥).. والشافعية قالوا: «يكره صوم الدهر». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٤٩)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

قرائن العقل على ألسنة أئمة أهل السنة.. تنطق بالحق وتثبت (نزوله تعالى ومجيئه وإتيانه) على الوجه اللائق به دون تكييف ولا تأويل ولا تفويض

إعداد د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإن اعتقاد الأشاعرة أن ما يقبله العقل من صفات الخالق قاصر على: ما أسموه بـ(صفات المعاني)؛ اعتقاد باطل، يستلزم عدم ثبوت الصفات الخبرية والفعلية بأدلة العقل لعدم قبوله لها، كما يستلزم نفي الكمال عن تلك الصفات، وهو ما أداهم -بموجب عقولهم وتحت دعوى تنزيهه تعالى عن المشابهة ومماثلة الحوادث- لنفيها عن الله، ومن ثم تعطيلها وتأويلها.. وهذا ما أجمع أئمة أهل السنة على رده لعدم تعارض العقل لأدلة النقل بحال، كون الذي خلق العقل هو الذي أنزل لهدايته النقل.

رد الطبري والجويني على منكري الصفات:

أ- الإمامان الطبري والجويني يحاجان بأدلة العقل منكري صفات النزول والمجيء ويدحضان حججهم:

ونذكر هنا للإمام الطبري ت٣١٠ قوله في محاجة بالعقل لمن أنكر النزول بزعم أنه انتقال من مكان إلى مكان وأن ذلك من صفات الأجسام: "يقال له: إن هذه المعاني التي وصفت -وذكر منها: الآي المثبتة لليد واليمين والوجه، وأحاديث: (يضع الرب قدمه فيها) يعني في جهنم، و(يضحك إلى عبده المؤمن)، و(يهبط كل ليلة وينزل إلى السماء الدنيا)، و(ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن) إلى غير ذلك مما وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله- مما لا تدرك حقيقة علمه بالفكر والروية.. فإن قال لنا قائل: فما الصواب في معاني هذه الصفات، قيل: الصواب أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۭ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، فيقال: الله سميع بصير.. يسمع الأصوات لا بخَرْق في أذن ولا جارحة كجوارح بني آدم، وكذلك يبصر الأشخاص ببصر لا يشبه أبصار بني آدم التي هي جوارح لهم، وله يدان ويمين وأصابع وليست جارحة، ولكن يدان مبسوطتان بالنعم على الخلق، ووجه لا كجوارح بني آدم التي هي من لحم ودم.. ونقول: يهبط كل ليلة إلى سماء الدنيا.

كما يقال له: قد قال الله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّۭا صَفًّۭا﴾ (الفجر: ٢٢)، فهل يجوز عليه المجيء؟، فإن قال: لا يجوز وإنما المعنى: (وجاء أمر ربك)، قيل: قد أخبرنا تعالى أنه يجيء هو والمَلَك، فزعمتَ أنه يجئ أمره لا هو، فكذلك تقول: إن الملك لا يجئ إنما يجئ أمر المَلَك لا المَلَك، فإن قال: لا أقول ذلك في المَلَك ولكني أقوله في الرب، قيل له: فإن الخبر عن مجيء الرب والملك خبرٌ واحد، فزعمت في الخبر عن الرب أنه يجيء أمره لا هو، وفي المَلَك أنه يجئ بنفسه، فما الفرق بينك وبين من خالفك في ذلك فقال: بل الرب هو الذي يجيء فأما الملك فإنما يجيء أمره لا هو بنفسه؟!، فإن زعم

أن الفرق: أن المَلَك خلق الله جائز عليه الزوال والانتقال وليس ذلك على الله جائزاً، قيل له: وما برهانك على أن معنى المجيء والهبوط والنـزول لله، هو: النُقلة والانتقال.. وكيف لم يجز عندكم أن يكون معناها بخلاف ما عقلتم- من النقلة والزوال- من الله، وقد جاز عندكم أن يكون معنى: (العالم والقادر) من الله، بخلاف ما عقلتم ممن سواه؟".

إلى أن قال بعد أن أبطل تفسير المعطلة لمجيء الله: "فإن قال لنا منهم قائل: فما أنت قائل في معنى ذلك؟، قيل له: معنى ذلك ما دل عليه ظاهر الخبر، وليس عندنا للخبر إلا التسليم والإيمان به، فنقول: يجيء ربنا يوم القيامة والملك صفاً صفاً، ويهبط إلى السماء الدنيا وينـزل إليها كل ليلة، ولا نقول: ينزل أمره، بل نقول: أمـره نـازل إليها في كل لحظة وساعة، وإلى غيرها من جميع خلقه الموجودين ما دامت موجودة، ولا تخلو ساعة من أمـره، فلا وجه لخصوص نزول أمره إليها وقتاً بعد وقت ما دامت موجودة باقية، وكالذي قلنا في هذه المعاني من القول: الصواب من القيل في كل ما ورد به الخبر في صفات الله، بنحو ما ذكرناه" ا.هـ من التبصير ص١٣٤.

هذا، وقد سبق ذكر مناقشة الإمام الجويني ت: ٤٣٨هـ لمن تأول الاستواء والنزول، وذلك في رسالته (في إثبات الاستواء والفوقية)، وعرفنا كيف اجتاز مرحلة تجربته التي مر بها بموجب العقل، وقد كان قبلُ -كحال كثير من الأشاعرة في زماننا يريدون معرفة الحق والانقياد له- متحيراً بين المتـأولين والمفوضين والمثبتين، وذكرنا هنالك قوله حاكياً عن تجربته وما آل إليه أمره: "كنتُ متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله ناطقة منبئة بحقائق هـذه الصفات.. ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم، منهم من يؤول (الاستواء): بـ (القهر والاستيلاء)، ويؤول (النـزول): بـ (نزول الأمر)، وأمثال ذلك.. وممن ذهب إلى هذه الأقـوال أو بعضها: قوم لهم في صدري منزلة.. ثم إنني أجد من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره، المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره، وكنت أخـاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه، ومع ذلك فإذا طالعتُ النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله أجدها تشير إلى حقائق هذه المعاني، وأجد الرسول قد صرح بها مخبراً عن ربه واصفاً له بها، وأعلم بالاضطرار أنه عليه السلام كان يحضر في مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد والأعرابي والجافي، ثم لا أجد شيئاً يَعْقُب تلك النصوص لا نصاً ولا ظاهراً مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هـؤلاء المتكلمين مثل تأويلهم: (الاستواء) بالاستيلاء و(النزول) بنزول الأمر وغير ذلك، ولم أجد عنه عليه السلام أنه كان يُحذّر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه، ولم يُنقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معانٍ أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها"، إلى أن قال بعد أن ساق ما ساق من الأدلـة: "والذي شرح الله به صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أوَّلوا (الاستواء) بالاستيلاء و(النزول) بنزول الأمر.. إلخ.. هو: علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواءً يليق به، ولا نزولاً يليق به، ولا يَدَيْن تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه، وعطلوا ما وصف الله نفسه به".

وأردف يقول: "لا ريب أنا نحن وإياهم، متفقون على إثبات صفات المعاني: (القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام لله)، ونحن قطعاً لا نعقل من (الحيـاة) إلا هذا العَرَض الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك لا نعقل من (السمع والبصر) إلا أعراضاً تقوم بجوارحنا، فكما أنهم يقولون: (حياته ليست

بعرَض، وعلمه وبصره كذلك، وإنما هي صفات كما تليق به، لا كما تليق بنا)، فكذلك نقول نحن: (حياته معلومة وليست مكيفة.. وكذلك سمعه وبصره معلومان ليس جميع ذلك أعراضاً، بل هو كما يليق به.

ومثل ذلك بعينه: (فوقيته واستواؤه ونزوله)، ففوقيته معلومة ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر، فإنهما معلومان ولا يُكيَّفان، كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلومٌ غيرُ مكيَّف بحركة أو انتقال يليق بالمخلوق، بل كما يليق بعظمته، وجلالة صفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة له من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه، أعمى من وجه.. مبصراً من حيث الإثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد، وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله نفسه به، وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف، وذلك هو مراد الله منا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها، ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، لا فرق بين (الاستواء والسمع)، ولا بين (النزول والبصر)، الكل ورد في النص.

فإن قالوا لنا في الاستواء: (شبَّهتُم)، نقول لهم: (في السمع شبهتم، ووصفتم ربكم بالعَرَض!)، فإن قالوا: (لا عَرَض بل كما يليق به)، قلنا: (في الاستواء والفوقية لا حصر، بل كما يليق به)، فجميع ما يُلزمونا به في (الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب) من التشبيه، نلزمهم به في (الحياة والسمع والبصر والعلم)، فكما لا يجعلونها هم أعراضاً، كذلك نحن لا نجعلها جوارح ولا مما يوصف به المخلوق؛ وليس من الإنصاف أن يفهموا في (الاستواء والنزول والوجه واليد) صفات المخلوقين، فيحتاجوا إلى التأويل والتحريف، فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض!!. فما يُلزمونا به في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، نُلزمهم في هذه الصفات في العَرَضية، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع وينفون عنه عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبونا فيها إلى التشبيه سواء بسواء".

وعقَّب يقول: "ومن أنصف، عرف ما قلناه واعتقده وقبل نصيحتنا، ودان لله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التشبيه والتعطيل والتأويل، وهذا مراد الله منا في ذلك، لأن هذه الصفات وتلك جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه وأولناها، كان كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ وكفاية".. إلى أن قال: "وإذا ظهر هذا وبان، انجلت مسألة النزول وأمثالها.. فتساق مسألة الصفات مساق مسألة العلو، ولا نفهم منها ما نفهم من صفات المخلوقين، بل يوصف الرب بها كما يليق بجلاله، فينزل كما يليق بجلاله، ويداه كما يليق بجلاله، ووجهه الكريم كما يليق بجلاله.. وهكذا، لا يُفهم من جميع ذلك إلا ما يليق بجلال الله وعظمته.. فيحصل بذلك إثبات ما وصف الله تعالى نفسه به في كتابه وفي سنة رسوله، ويحصل أيضاً نفي التشبيه والتكييف في صفاته، ويحصل ترك التأويل والتحريف المؤدي إلى التعطيل، ويحصل أيضاً إثبات الصفات وحقائقها على ما يليق بجلال الله وعظمته، لا على ما نعقله نحن من صفات المخلوقين" ا.هـ باختصار من (مجموعة الرسائل المنيرية) ١/١٧٦- ١٨٤ مجلد١.

كلام ابن القيم فيما يُقبل من التأويل:

ب- وابن القيم على دربهما يفعل الشيء ذاته: ولابن القيم ت: ٧٥١هـ قوله في مختصر الصواعق ص٥٢ وتحت عنوان: (بيان ما يَقبل التأويل من الكلام وما لا يَقبل)، ما نصه -بعد أن قسم وضع الكلام للدلالة على مراد المتكلم إلى ثلاثة: "القسم الثاني: ما هو ظاهر في مراد المتكلم ولكنه يقبل التأويل، فهذا يُنظر في وروده، فإن اطرد استعماله على وجه واحد

استحال تأويله بما يخالف ظاهره.. فإذا جاء موضع يخالفه رده السامع إلى ما عهد من عرف المخاطب إلى عادته المطردة، وهذا هو المعقول في الأذهان والفطر وعند كافة العقلاء، وقد صرح أئمة العربية بأن الشيء إنما يجوز حذفه إذا كان الموضع الذي ادُّعي فيه حذفه قد استعمل فيه ثبوته أكثر من حذفه، حتى إذا جاء ذلك محذوفاً في موضع عُلم بكثرة ذكره في نظائره أنه قد أزيل في هذا الموضع فحُمل عليه".. وضرب لذلك المثل بـ(الاستواء والنداء) من قبَل الله تعالى.. إلى أن قال:

"ونظير ذلك حديث: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول) في نحو ثلاثين حديثاً، كلها مصرِّحة بإضافة النزول إلى الرب، ولم يجيء موضع واحد بقوله: (ينزل مَلَكُ ربنا) حتى يُحمل ما خرج عن نظائره عليه"، واستطرد يقول: "وإذا تأملتَ نصوص الصفات التي لا تسمح الجهمية بتسميتها نصوصاً، وإذا احترموها قالوا: (ظواهر سمعية وقد عارضها القواطع العقلية)، وجدتَها كلها من هذا الباب".

ومما قاله بنفس المصدر ص٤٦٠: "قال رزين بن معاوية: بعض المتبعين لأهوائهم المقدِّمين بين يدي كتاب الله لآرائهم من المعتزلة والجهمية، ومن نحا نحوهم من أشياعهم: يمتنعون من وصف الله بما وصف به نفسه من قوله: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) (البقرة/٢١٠).. وقوله: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) (طه/٥).. وأهل العلم بالكتاب والآثار من السلف والخلف يثبتون جميع ذلك ويؤمنون به بلا كيف ولا توهم، ويروُون الأحاديث الصحيحة كما جاءت".

ثم أفاد -رحمه الله- أن المجيء والإتيان إذا جاء مقيداً بمجيء رحمته أو عذابه، جيء به كذلك كما في قوله تعالى: (وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) (الأعراف/٥٢)، (بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ).. (المؤمنون/٧١)، وأما إن جاء مطلقاً كقوله: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ) (الفجر/٢٢)، (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) (البقرة/٢١٠)، فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه، هذا إذا كان مطلقاً، فكيف إذا قيد بما يجعله صريحاً في مجيئه نفسه كقوله: (إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ) (الأنعام/١٥٨)، فعطف مجيئه على مجيء الملائكة، ثم عطف مجيء آياته على مجيئه.

وخلص إلى "أن (النزول والمجيء والإتيان والاستواء والصعود والارتفاع)، كلها أنواع أفعاله، وهو الفعال لما يريد، وأفعاله كصفاته قائمة به، ولولا ذلك لم يكن فعالاً ولا موصوفاً بصفات كماله.. بل كان بمنزلة الجمادات، وهذا حقيقةُ مَن عطّل أفعاله، يوضحه أن الأوهام الباطلة والعقول الفاسدة لما فهمتْ من (نزول الرب ومجيئه وإتيانه وهبوطه ودنوه) ما يُفهم من مجيء المخلوق وإتيانه وهبوطه ودنوه، وهو: أن يُفرغ مكاناً ويُشغل مكاناً، نفتْ حقيقة ذلك فوقعت في محذورين: محذور التشبيه ومحظور التعطيل، ولو علمَتْ هذه العقول الضعيفة أن نزوله سبحانه ومجيئه وإتيانه لا يشبه نزول المخلوق وإتيانه ومجيئه، كما أن سمعه وبصره وعلمه وحياته كذلك، لما نفت حقيقته".

والحق أن أدلة العقل في كلام أئمة أهل السنة على إثبات صفات (النزول والمجيء والإتيان)، كثيرة، وسيأتي ذكر المزيد منها إبان سوق نصوص كلامهم.. لكن يظل السؤال، هل يحق للأشاعرة -بعد سوق هذه القرائن من أدلة النقل والعقل- أن يعارضوا أحاديث النبي وسنته في إثبات ما بها من صفات الأفعال -التي منها: النزول والمجيء والإتيان- بمحض آرائهم وأهوائهم، ومن قبل ذا ومن بعده أن يعارضوا بموجب العقل آي التنزيل وصريح السنة؟، وهل يليق بهم أن يعطلوا ما جاء من هذه الصفات في نصوص الوحيين، وأن يخالفوا ما أجمع عليه علماء الأمة وتواترت به الأخبار بحق إثباتها؟..

نترك الجواب لأشاعرة الزمان..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



أم إسماعيل ونبع زمزم (٢)

إعداد د/ سعيد محمد صوابي
أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر - القاهرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

كان والد الأنبياء إبراهيم عليه السلام أول من هجر قومه في الله، حيث خرج من بلاد العراق إلى أرض الشام، بعد أن أقام الحجة على قومه، وأبلغهم شرع ربه الذي أرسله به، ولكنهم كما ذكر الله عنهم في غير آية من كلامه العزيز: «قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ» (الأنبياء:٧٣).

ونلحظ: ماذا أراد به قومه؟! وكيف أراد الله به وبهم؟! حيث أعزه وأذلهم، ونصره وخذلهم، وفرَّج عنه وكبتهم... ومع ذلك لم يؤمن به ولم يصدقه أحد، بعد أن رأوا الآية البينة، سوى النبي الكريم لوط عليه السلام، ثم إن الخليل عليه السلام بعد أن أعزه الله وأنجاه؛ لم ييأس من تجديد الدعوة لقومه أن يعبدوا الله ويوحدوه ولا يشركوا به شيئًا، وأن يتركوا وينبذوا كل ما سواه، ومن ثَمَّ؛ أكرمه الله في عقبه من بعده، حيث وهبه ذرية صالحة، تعبد الله وتوحده؛ بل جعل فيها النبوة والكتاب على توالي العصور والأزمان، قال تعالى: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ» (العنكبوت:٢٤-٢٧).

وقد لخص ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره للآيات ٩٩: ١٠١ من سورة الصافات، حيث قال: «يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: أنه بعد ما نصره الله على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة: هاجر من بين أظهرهم «وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ» (الصافات:٩٩-١٠٠).

يعني: أولادًا مطيعين، عوضًا عن قومه وعشيرته الذين فارقهم، قال تعالى: «فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» (الصافات:١٠١).

ولقد هاجر هجرات طويلة، لا نطيل بذكرها، ويكفي أن نعلم أنه خرج من نواحي الكوفة بأرض العراق، إلى أرض الشام، ومعه زوجه سارة، ونبي الله لوط عليهما السلام، ثم هاجر إلى مصر، وعاد إلى الشام، وارتحل رحلات طويلة عديدة إلى مكة، حيث البلد الحرام، بالرغم من كبر سنه، وذلك واضح في ثنائه على ربه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ» (إبراهيم:٣٩).

ثم بارك الله له في عمره حتى أقر عينه برؤية ولد ولده، يعقوب عليه السلام، وهو نبي يوحى إليه، قال سبحانه: «فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا» (مريم:٤٩، ٥٠).

قال الحافظ ابن كثير: «لما هجر قومه في الله، وهاجر من بين أظهرهم، وكانت امرأته عاقرًا، لا يولد لها، ولم يكن له من الولد أحد، وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، فكل نبي بعث بعده، فهو من ذريته، وكل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء من بعده، فعلى أحد نسله وعقبه؛ خلعة من الله وكرامة له، حيث ترك بلاده وأهله وأقرباءه، وهاجر إلى بلد يتمكن فيها من عبادة ربه عز وجل، ودعوة الخلق إليه». (البداية والنهاية:١٣٥، ١٧٥).

وكان من الهجرات العديدة لإبراهيم عليه السلام إلى بيت الله الحرام؛ رحلته بولده إسماعيل وهو رضيع مع أمه، حيث أنزلهما بجوار البيت الحرام، ثم عودته إليهما أكثر من مرة؛ ليحقق الرؤيا التي رآها: أنه يذبح ولده إسماعيل، وليعيدا سويًا رفع قواعد البيت وتشييد بنائه، وكان من دعائهما تتميم النعمة ببعثة خاتم النبيين، كما في قوله تعالى: «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (البقرة:١٢٩).

وسيأتي -بمشيئة الله تعالى- بيان نسب إبراهيم عليه السلام إلى آدم أبي البشر عند الحديث عن تسميته وبيان نسبه الشريف.

وأما أم إسماعيل فهي: «هَاجَر» وأصلها من قرية (أنصنا) على الجانب الشرقي لنهر النيل قرب أسيوط بصعيد مصر، وقد اندثرت تلك القرية، وحل محلها قرية الشيخ عبادة من سنة ١٢٣٠هـ وقيدت بزمام مركز ملوى التابع الآن لمحافظة المنيا، وكانت هاجر هبة ملك مصر لسارة زوج إبراهيم عليه السلام أثناء هجرتهما إلى مصر، فوهبتها سارة لزوجها إبراهيم، فلما أنجبت هاجر منه إسماعيل؛ اشتدت الغيرة بسارة... والقصة معروفة مشهورة (صحيح البخاري:٣٣٥٨، وصحيح مسلم:٢٣٧١، وفتح الباري: ٦/ ٣٩٠- ٣٩٥، والقاموس الجغرافي للبلاد المصرية: ٤/ ٥٩- ٦٣).

ثم احتمل إبراهيم الخليل عليه السلام هاجر مع رضيعها إسماعيل بأمر الله تعالى فأسكنها بوادي مكة بين الجبال؛ حيث لا أنيس به ولا حسيس، ثم ذهب وتركهما هنالك، وليس عندهما سوى جراب فيه تمر وسقاء به ماء، فلما نفد ذلك: أكرم الله هاجر ورضيعها إسماعيل ثم جميع الناس بعد ذلك بماء زمزم، الذي هو طعام طعم وشفاء سقم.

أسكنه أبوه إبراهيم
أم القرى وما بها مقيم
والله قد أكرمه بزمزم
وقبلت هاجر سكنى جرهم
وحين شب صاهر الجيرانا
ومنه بوركت بنو عدنانا

أخرج البخاري وغيره من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ مَا كَانَ، خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ (قربة عتيقة) فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ (شجرة كبيرة) فَوْقَ زَمْزَمَ في أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى (رجع) إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ! أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا.

فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ(المكان المرتفع) حَيْثُ لا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» (البقرة:١٢٩).

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ (يتمرغ ويضرب الأرض برجليه من شدة الظمأ) فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنْ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا» فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَه (اسم فعل أمر معناه: اسكتي، فكأنها خاطبت نفسها بذلك لتحسن الاستماع) تُرِيدُ نَفْسَهَا، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ! أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَدَهِشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ (تجعله مثل الحوض مخافة أن يسيل على الأرض) وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنْ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا، وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ! لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ» أَوْ قَالَ: «لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنْ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا»(ظاهرًا جاريًا على وجه الرض) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ، يَبْنِي هَذَا الْغُلامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنْ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ.

فَكَانَتْ كَذَلِكَ (استمرت هاجر على تلك الحال تغتذي بماء زمزم فيكفيها الطعام والشراب) حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ- أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ- مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ (موضع بأعلى مكة شمال غرب الحرم) فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ! لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، كأنهم أنكروا ذلك، وقالوا مَا يَكُونُ الطَّيْرُ إِلا عَلَى مَاءٍ، فَبَعَثُوا رَسُولَهُمْ فنظر فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَأَتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ فَأَتَوْا إِلَيْهَا فقالوا: يَا أُمَّ إِسْمَاعِيلَ أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَكُونَ مَعَكِ أَوْ نَسْكُنَ مَعَكِ؟ أو قالوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ» (تحب جنسها من الناس وتأنس بهم وتكره الانفراد وتستوحش منه) فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الْغُلامُ، وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ، وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ(أخرجه البخاري: ٣٣٦٢ مختصرًا، ٣٣٦٣ مختصرًا، ٣٣٦٤ مطولاً، ٣٣٦٥ مطولا).

والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في تاريخه نقلاً عن البخاري، ثم قال: «هذا الحديث من كلام ابن عباس، وموشح برفع بعضه، وفي بعضه غرابة، وكأنه مما تلقاه ابن عباس عن الإسرائيليات!!».

وعقب عليه الشيخ أحمد شاكر، بقوله: «وهذا عجب منه، فما كان ابن عباس ممن يتلقى الإسرائيليات، ثم سياق الحديث يفهم منه ضمنًا أنه مرفوع كله، ثم لو سلمنا أن أكثره موقوف، ما كان هناك دليل أو شبه دليل على أنه من الإسرائيليات؛ بل يكون الأقرب أنه مما عرفته قريش وتداولته على مر السنين، من تاريخ جديهم إبراهيم وإسماعيل، والظاهر عندي أنه مرفوع كله في المعنى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ». ونحو ذلك حكم الحافظ ابن حجر على الحديث، يعني: إن كان بعضه مرفوعًا لفظًا؛ فإن جميعه مرفوعٌ معنىً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ (البداية والنهاية:١/١٥٤- ١٥٦، المسند بتحقيق الشيخ أحمد شاكر:٥/٨٦- ٨٧ ح ٣٢٥٠، وفتح الباري:٦/٤٠٢).

والحمد لله رب العالمين.

نظرات في كتاب

كتاب الرسالة

للإمام محمد بن إدريس الشافعي

إعداد: الشيخ/ محمد عبد العزيز

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام: ١)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فكتاب الرسالة للشيخ الإمام محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله تعالى - هو أجل وأعظم كتب أصول الفقه، وهو أول مصنف في هذا العلم.

ومؤلفه الإمام الشافعي هو أول واضع لهذا العلم فله الأولية فيه، فكل من جاء بعده عيال عليه، وكتابه الرسالة هو إمام هذه الكتب الموضوعة بعده، فهي منسوجة على منواله.

وأرى من الفائدة قبل البدء في هذا المقال أن أُمَهِّد له بمقدمة تبين أهميته، وتوضح المراد به، فأقول، وبالله تعالى التوفيق والسداد:

علم أصول الفقه من علوم الآلة - علوم الوسائل -: ويقصد به القواعد والأصول التي يتمكن بها الفقيه من استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

فهو قواعد كلية، كقولهم: الأصل في الأمر الوجوب، وفي النهي التحريم، العموم ظني في دلالته، وما شابه ذلك. وهو الذي يضبط للفقيه النظر والاستنباط ويقوِّم له طرق الاستدلال، وكلما كانت أصول الفقيه صحيحة كلما صح بذلك فقهه وعلا قدره، وصفا له ما تكدر لغيره، ولذا كانت عناية سلفنا بهذا العلم الشريف عناية فائقة، فصنفوا فيه المصنفات الكثيرة ما بين مطول ومختصر، وتفننوا في ذلك تفنناً.

موضوع هذا العلم:

يبحث هذا العلم في ثلاثة موضوعات إجمالاً:

الموضوع الأول: معرفة دلائل الفقه إجمالاً.

وأدلة الفقه تنقسم إلى قسمين اثنين:

أ- أدلة أصلية.

ب- أدلة غير أصلية (تبعية).

فالأدلة الأصلية هي: الكتاب والسنة، وهي متفق عليها.

والأدلة غير الأصلية (التبعية) تنقسم إلى قسمين:

الأول: قسم متفق عليه بين جمهور الأمة وهو:

١- الإجماع.

٢- القياس.

الآخر: قسم مختلف فيه، ومنه:

١- الاستحسان.

٢- الاستصحاب.

٣- المصالح المرسلة.

الموضوع الثاني: معرفة كيفية الاستفادة منها:

أي: ومعرفة كيفية استفادة الفقه من هذه الأدلة، أي: استنباط الأحكام الشرعية منها.

وهذا القسم من العلم هو أهم أقسام علم الأصول، بل هو لباب هذا العلم، وهو مجال استنباط الفقيه للأحكام المكتسبة من الأدلة التفصيلية، وكلما استقامت للفقيه أصول هذا القسم كانت حجته أرجح فهو الذي يضبط للفقيه النظر والاستنباط ويقوِّم له طرق الاستدلال.

وفي هذا القسم من هذا العلم الشريف يُقَعِّدُ الأصولي القواعد التي يستطيع بها الفقيه استفادة الأحكام من الأدلة، فهي وجوه دلالة هذه

الأدلة سواء كانت هذه الأدلة نقلية أو عقلية.
وهـذا الموضوع سماه الغـزالي طريق استثمار الأدلـة، قـال في المستصفى (٤١/١): «القطب الثالث: في طرق الاستثمار، وهي أربعة: الأولى: دلالة اللفظ من حيث صيغته، وبه يتعلق النظر في صيغة الأمر، والنهي، والعموم، والخصوص، والظاهر، والمؤول، والنص.
والنظر في كـتـاب الأوامـر والنـواهـي والعموم والخصوص نظر في مقتضى الصِّيَغ اللغوية.
- وأما الدلالة من حيث الفحوى والمفهوم فيشتمل عليه كتاب المفهوم ودليل الخطاب.
- وأما الدلالة من حيث ضرورة اللفظ واقتضاؤه فيتضمن جملة من إشـارات الألـفـاظ كقول القائل: أعتق عبدك عني، فتقول: أعتقت. فإنه يتضمن حصول الملك للملتمس ولم يتلفظا به؛ لكنه من ضرورة ملفوظهما ومقتضاه.
- وأما الدلالة من حيث معقول اللفظ فهو كقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يقضي القاضي وهو غضبان» (رواه البخاري (٧١٥٨)، ومسلم (١٧١٧) من حديث أبي بكرة -رضي الله عنه-)
فإنه يدل على الجائع والمريض والحاقن بمعقول معناه، ومنه ينشأ القياس وينجر إلى بيان جميع أحكام القياس وأقسامه».
الموضوع الثالث: معرفة حال المستفيد:
أي: طالب الحكم الفقهي من الدليل التفصيلي، وهو المجتهد فيتعرض هذا العلم لبيان:
- معنى الاجتهاد.
- معنى التقليد.
- بيان شروط المجتهد.
- بيان مراتب المجتهدين.
- بيان حكم التقليد، ومتى يحل؟
- بيان شروط التقليد.
- بيان متى يحل للمجتهد التقليد؟
- آداب المفتي والمستفتي.
و نحو هذه الأبواب الإجمالية، التي يحتاج إليه الناظر في هذا العلم العالي القدر.
فهذه هي موضوعات هذا العلم الشريف.
متى نشأ هذا العلم؟
نشأ هذا العلم مع نشأة علم الفقه، فهو مصاحب له من حيث النشأة.
فلا فقه بلا مناهج استدلال، ولا قواعد ضابطة.
وقـد أشـار لبعض مباحثه النبي صلى الله عليه وسلم: كقوله صلى الله عليه وسلم للخثعمية عندما سألته عن أداء الحج عن أبيها الكبير الذي لا يستطيع الحج: «أرأيت إن كان على أبيك دين فقضيتيه أينفعه ذلك؟ قالت: نعم. قال: فدين الله أحق بالقضاء» (رواه البخاري (١٥١٣)، ومسلم (١٣٣٤)).
فأشار النبي صلى الله عليه وسلم للقياس وأرشد إليه، وبين الجامع بين الأصل والفرع وهو العلة.
ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم» (رواه مسلم (١٣٣٧) وروى البخاري القطعة الأخيرة منه (٧٢٨٨))؛ فبيّن أن الأصل في الأمر الوجوب.
ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «هل هو إلا بَضْعَة منك؟» (أخرجه أحمد (٢٢/٤، ٢٣)، وأبو داود (١٨٢)، والترمذي (٨٥)، والنسائي (١٦٥)، وابن ماجه(٤٨٣))؛ فأشار إلى علة عدم النقض بالمس.
وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ممن كانت تدور عليهم الفتوى على علم تام بهذا العلم، وإن لم يعرفوه بهذا الاسم.
فقد كانوا على علم باللغة العربية وأساليبها، وبها يعرف العام والخاص، والمطلق والمقيد، والحقيقة والمجاز، وواضح الدلالة ومراتبه، وخفي الدلالة ومراتبه، والنص، والإشارة والمفهوم، وما يفيد الوجوب وما يفيد التحريم...
كما عاصروا التنزيل فعرفوا أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ورأوا تنزيل النبي صلى الله عليه وسلم للنصوص على الوقائع المختلفة.
وأخذوا القرآن والسنة مشافهة من النبي صلى الله عليه وسلم، أو من بعضهم وهم عدول، فعرفوا ما يستدل به من غيره.
وعنهم أخذ التابعون، من بعدهم فقد كان علم الأصول مختلطاً بعلم الفقه لا ينفك عنه، يؤخذ بأخذ الفقه.

ثم ظهرت في أواخر عهد التابعين مدرستان: إحداهما: مدرسة أهل الحديث والأثر، وتمركزت بالحجاز، وخاصة المدينة النبوية. وجعلت جل اهتمامها جمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا أوعية للعلم حافظين للسنن والآثار، إلا أنهم نادرًا ما أخذوا بالقياس، وكانوا يقفون عند ظواهر النصوص؛ وذلك لكثرة ما عندهم من الآثار عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الأعلام.

قال عنهم الإمام فخر الدين الرازي في كتابه مناقب الإمام الشافعي (ص٦٦): «الناس كلهم كانوا قبل زمان الشافعي فريقين: أصحاب الحديث، وأصحاب الرأي.

أما أصحاب الحديث: فكانوا حافظين لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنهم كانوا عاجزين عن النظر والجدل، وكلما أورد عليهم أصحاب الرأي سؤالاً أو إشكالاً بقوا على ما في أيديهم عاجزين متحيرين».

وظهرت مدرسة أخرى: عرفت بمدرسة الرأي، وتمركزت بالعراق وهم أهل الكوفة، وصرفت جل اهتمامها إلى الفقه ذلك أنهم رأوا أن جل الأحكام معللة، معقولة المعنى فصرفوا جهدهم لمعرفة علل الأحكام، ووضعوا قواعد وضوابط لقبول السنن والأخبار ذلك أنه ظهر لديهم أهل الأهواء والبدع، فإذا جاءتهم السنن عرضوها على تلك الضوابط فإن خالفتها ردوها وتحرجوا من قبولها.

قال عنهم الإمام فخر الدين الرازي في إرشاد الطالبين في الموضع السابق «وأما أصحاب الرأي فكانوا أصحاب الجدل والنظر إلا أنهم كانوا فارغين من معرفة الآثار والسنن، وهي مدرسة الكوفة».

وعاب أهل كل مدرسة ما عليه أتباع المدرسة الأخرى، ورمتها بقوارس الكلمات، وتراشقت معها بخشن الألفاظ، وحوشي الاتهامات. فرمى أهل الحديث أهل الرأي بأنهم يأخذون بالظنون، ويحكمون آراء الرجال في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى قال أبو مزاحم الخاقاني:

أَهْلُ الكَلامِ وَأَهْلُ الرَّأْيِ قَدْ عَدِمُوا
عِلْمَ الحَدِيثِ الَّذِي يَنْجُو بِهِ الرَّجُلُ
لَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا الآثَارَ مَا انْحَرَفُوا
عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا، لَكِنَّهُمْ جَهِلُوا

(شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (١٤٣/٢))

ورمى أصحاب الرأي أصحاب الحديث بالجمود وقلة الفهم.

حتى قال قائلهم عائبًا أصحاب الحديث:

زَوَامِلُ لِلأَخْبَارِ لا عِلْمَ عِنْدَهُمْ
بِجَيِّدِهَا إِلا كَعِلْمِ الأَبَاعِرِ
لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي البَعِيرُ إِذَا غَدَا
بِأَحْمَالِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الغَرَائِرِ

أضف إلى هذا كثرة الفتوح، واختلاط اللسان العربي بغيره من الألسنة، حتى فشت العجمة، وانتشر اللحن حتى بين بعض أبناء العرب الأقحاح، وفقدت الملكة اللسانية سلامتها، وكثرت الاشتباهات والاحتمالات، وتشعبت طرق المجتهدين.

فلما ظهرت الحاجة قيَّض الله لهذا العلم من جمع مباحثه وبيَّنها وأوضحها للناس فانفصلت عن الفقه علمًا مستقلاً له حدوده المميزة، وتأخر ذلك حتى أواخر القرن الثاني عندما دوَّنها الشافعي في رسالته المشهورة لعبد الرحمن بن مهدي. وهو شاب. عندما أرسل إليه يسأله أن: « أن يضع له كتابًا فيه: معاني القرآن، ويجمع فنون الأخبار فيه، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة ». (تاريخ بغداد (٦٤/٢، ٦٥)).

قال علي بن المديني: «قلت: لمحمد بن إدريس الشافعي أجب عبدالرحمن بن مهدي عن كتابه فقد كتب إليك يسألك وهو متشوق إلى جوابك.

قال: فأجابه الشافعي. وهو كتاب الرسالة التي كتبت عنه بالعراق، وإنما هي رسالته إلى عبد الرحمن بن مهدي». (الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص ٧٣))

فكتب الشافعي رسالته لابن مهدي، فكانت أول مدوَّن مستقل في أصول الفقه، فحاز قصب السبق، وكان له في هذا العلم قدم الصدق.

هذا ما يسره الله لي في هذا المقال، فإن يكن صوابًا فالحمد لله، وإن تكن الأخرى فمني ومن الشيطان، وإلى لقاء آخر نستكمل به مقصد هذا المقال.



الحلقة الثامنة

تراجم أئمة القراءات

إعداد د. أسامة صابر

الإمام أبو عمرو الداني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

حديثنا بعون الله عن عَلَم من أعلام القراءات، وصفه ابن الجزري بقوله: (الإمام العلامة الحافظ، أستاذ الأستاذين، وشيخ مشايخ المقرئين).

هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر، الإمام الحافظ أبو عمرو الأموي مولاهم القرطبي، المعروف بابن الصيرفي، ويعرف أيضاً بأبي عمرو الداني، لنزوله بدانية بالأندلس، وُلِدَ سنة ٣٧١هـ.

رحلته في طلب العلم:

ابتدأ طلب العلم في سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ورحل إلى المشرق سنة سبع وتسعين، فمكث بالقيروان أربعة أشهر يكتب عن علمائها، ثم توجه إلى مصر فمكث بها باقي العام والعام الذي يليه ، وقرأ بها القرآن، وكتب الحديث والفقه، والقراءات، ثم توجه إلى مكة للحج، وكتب بها عن أبي العباس أحمد البخاري، وعن أبي الحسن بن فراس، ثم عاد إلى مصر فمكث بها شهرًا، ثم انصرف إلى المغرب ومنها إلى الأندلس، فمكث بقرطبة ثم خرج إلى الثغرة فسكن سرقسطة سبعة أعوام، ودخل دانية سنة تسع وأربعمائة.

ورحلات الداني هذه كان بعضها طلبًا للسماع على الشيوخ وبعضها طلبًا للأمن والاستقرار بعد انتشار الفتن في أرجاء قرطبة، وقد استقر به المقام بدانية؛ لأن ملكها يومئذ مجاهد بن يوسف بن علي كان معتنيًا بعلم القراءات؛ يُكرم أهلها وله فيها نصيب وافر، فظل بدانية إلى أن توفي؛ رحمه الله.

مكانته العلمية في علم القراءات:

اجتهد في علم القراءات، وعرضها على الشيوخ في مدن الأندلس ومصر، ويقول: (ما رأيت شيئًا قط إلا كتبته، ولا كتبته إلا وحفظته، ولا حفظته فنسيته)، وكتابه جامع البيان أوضح دليل على سعة مروياته، هذا مع ما أوتيه من الضبط والتدقيق والمعرفة بتاريخ الرواة وطبقاتهم.

علم الحديث: له فيه حظ عظيم رواية ودراية، وله اعتناء بالأسانيد في الأحاديث المرفوعة، والآثار، وكلام السلف، مع معرفة برجال الحديث وعلم الجرح والتعديل، والمصطلح، قال عنه ابن بشكوال: (وله معرفة بالحديث وطرقه وأسماء رجاله ونقلته)، وكتابه (السنن الواردة في الفتن) شاهد على ذلك، قال الذهبي: (وكتاب الفتن الكائنة مجلد يدل على تبحُّره في الحديث).

الفقه: نشأ الإمام الداني بقرطبة وأهلها يهتمون بالفقه، وقرأ على فقهائها، واعتمد على فقه الإمام مالك.

اللغة: كان متمكنًا من علم النحو، محيطًا بمذاهب النحويين واختلافهم، ويرجِّح ما يراه صوابًا من أقوالهم.

عقيدته: كان على نهج أهل السنة في معتقدهم، متبعًا للكتاب والسنة، مجانبًا لأهل البدع والزيغ، يثبت أسماء الله تعالى وصفاته من غير تشبيه ولا تعطيل، يقول رحمه الله:

ومن صحيح ما أتى به الخبر
وشاع في الناس قديما وانتشر
نزول ربنا بلا امتراء
في كل ليلة إلى السماء

ويقول:

كلم موسى عبده تكليمًا
ولم يزل مدبرًا حكيمًا

شيوخه:

عدَّ سبعين شيخًا له، ومن أهمهم في القراءات: فارس بن أحمد بن موسى أبو الفتح الحمصي، وعبد العزيز بن جعفر الفارسي، ومحمد بن أحمد بن علي أبو مسلم البغدادي، وطاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون، وخلف بن إبراهيم بن خاقان.

ومن شيوخه في الحديث: عبد الرحمن بن عثمان القشيري، ومحمد بن خليفة بن عبد الجبار، ويروي عن أئمة الحديث: أمثال البخاري ومسلم وأحمد والنسائي بأسانيد عالية.

ومن تلاميذه: ولده أبو العباس، وإبراهيم بن خلف بن معاوية، وأبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح، وأبو تمام غالب بن عبيد الله القيسي، وأبو عبد الله محمد بن مزاحم، وخلق كثير.

مؤلفاته:

زادت على المائة، أغلبها في علم القراءات، وقد أثنى عليها العلماء.

قال الذهبي: (والقراء خاضعون لتصانيفه، واثقون بنقله في القراءات، والرسم، والتجويد، والوقف والابتداء، وغير ذلك).

وقال ابن الجزري: (ومن نظر كتبه علم مقدار الرجل، وما وهبه الله تعالى فيه، فسبحان الفتاح العليم).

ومن مصنفاته:

التيسير في القراءات السبع.
جامع البيان في القراءات السبع.
المكتفى في الوقف والابتدا.
المقنع في رسم المصحف.
الأرجوزة في أصول السنة.
المفردات.
الإمالات.
البيان في عد آي القرآن.

ثناء العلماء عليه:

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي: (طلب علم القراءات، وقرأ وسمع الكثير، وعاد إلى الأندلس؛ فتصدر بالقراءات، وألف فيها تواليف معروفة).

وقال أبو جعفر أحمد بن عبد الملك الضبي: (إمام وقته في الإقراء، محدث مكثر أديب).

وقال الذهبي: (ما يزال القراء معترفين ببراعة أبي عمرو الداني، وتحقيقه وإتقانه، وعليه عمدتهم فيما ينقله من الرسم والتجويد والوجوه).

وقال السيوطي: (وكان أحد الأئمة في علم القراءات ورواياته، وتفسيره، ومعانيه، وطرقه وإعرابه، وله معرفة بالحديث وطرقه ورجاله، من أهل الذكاء والحفظ والإتقان، دَيِّنًا فاضلاً، مجاب الدعوة).

وقال: (إلى أبي عمرو المنتهى في تحرير علم القراءات، وعلم المصاحف، مع البراعة في علم الحديث والتفسير والنحو).

وفاته:

توفي -رحمه الله- في النصف من شوال سنة ٤٤٤هـ.

وللحديث بقية إن شاء الله،
والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثانية

استراتيجيات إدارة الخلافات الزوجية

إعداد/ د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
بجامعة التضامن الفرنسية العربية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ذكرنا في العدد الماضي بعض استراتيجيات إدارة الخلافات الزوجية، وذكرنا أن المتأمل في أحوال بيوت المسلمين يمكن أن يجد أن كثيرًا من المشكلات تتلخص في:

١- طلب الرجل لزوجته وتمنعها.
٢- معاملة الأهل وإدارة الخلاف.
٣- الإنفاق أو الإدارة المالية.

وقلنا بأن على العبد أن يُحْسن إدارة الخلاف الزوجي؛ وذلك بالتزامه بآداب ونصائح عامة عند الحوار أو العتاب أو الإصلاح، ومنها:

- اعلم أن اللوم للمخطئة لا يأتي بخير غالبًا.
- أبعد الحاجز الضبابي عن عينيها.
- استخدم العبارات اللطيفة في إصلاح خطئها.
- ترك الجدال أكثر إقناعًا من الجدال.
- ضع نفسك مكانها ثم ابحث عن الحل.
- ما كان الرفق في شيء إلا زانه.
- دعها تتوصل لفكرتك.
- عندما تنتقدها اذكر جوانب الصواب لديها.
- لا تفتش عن أخطائها الخفية.
- استفسر عن خطئها مع إحسان الظن والتثبت.
- امتدح الزوجة على قليل صوابها يكثر منها الصواب.
- تذكر أن الكلمة القاسية في العتاب لها كلمة طيبة مرادفة تؤدي المعنى نفسه.
- اجعل الخطأ هيِّنًا ويسيرًا، وابن الثقة في نفس زوجتك لإصلاحه.
- تذكر أنها تتعامل بعاطفتها أكثر من عقلها.

وذكرنا اقتراحات حلول للمشكلتين الأولى والثانية في العدد السابق، والآن مع المشكلة الثالثة:

المشكلة الثالثة:

٣- الإدارة المالية والإنفاق

قال تعالى: «لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ» (الطلاق:٧).

وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار أنفقه على عياله، ودينار أنفقه على أصحابه في سبيل الله، ودينار أنفقه على دابته في سبيل الله» (الأدب المفرد، البخاري ٥٧٥).

هذا الحديث يأخذ بيد الرجل ويهدهد عليه ويحثه تجاه الإنفاق على أولاده، ولكن:

أولاً: يجب أن نحدد موقفنا المالي حتى نحدد أوجه الخلاف والاتفاق في الإنفاق ومن يقود عملية الإدارة المالية للبيت.

وفي هذا الاختبار الآتي عدة أوجه للإنفاق لتقيم نمط إنفاقك فيها وموقفك المالي، ثم بعد ذلك تتخذ القرار المناسب. (امرأة بدرجة امتياز، شريف شحاتة، ص٨٦، طبعة إبداع للإعلام والنشر ٢٠٠٨م).

أجب عن هذه الأسئلة العامة أولاً:

١- إذا كنت متزوجًا، أعط نفسك نقطتين.
٢- إذا كنت خاطبًا، أعط نفسك نقطة واحدة.
٣- إذا كنت أنت أو زوجك جامعيين، أعط نفسك نقطتين.
٤- إذا كنت أنت أو زوجك ذا درجة علمية متقدمة، أعط نفسك نقطتين.
٥- إذا كنت أميًا، أي لا تستطيع القراءة اخصم ٥ نقاط.
٦- إذا كنت تتبرع ببعض المال في الخير، أعط نفسك ٥ نقاط.
٧- إذا كنت تخرج ٥٪ من مجموع الدخل السنوي في عمل الخير، أعط نفسك ١٠ نقاط.
٨- إذا لم تتبرع بأي شيء أو تعطي أي شيء دون مقابل، اخصم ٥ نقاط.
٩- إذا كان لديك أطفال، أضف ٥ نقاط.
١٠- إذا كنت تشعر بمقدرتك على إعالة أطفالك، أعط نفسك نقطتين.

المصروفات:
١- إذا كنت تشتري أغراضك باستخدام قائمة، أعطِ نفسك نقطة واحدة.
٢- إذا كنت تلجأ للتخفيضات والعروض الخاصة في معظم مشترياتك أعطِ نفسك ٥ نقاط.
٣- إذا كنت تخطط للمصروفات بوضع ميزانية، أعطِ نفسك نقطتين.
٤- إذا كنت تشتري سيارة ولا تؤجر، أعطِ نفسك ٥ نقاط.
٥- إذا كنت تأكل خارج البيت مرتين أسبوعيًا أو أقل، أعطِ نفسك ٥ نقاط.
التوفير:
١- إذا كنت تدخر ١٠٪ أو أكثر من مجموع الدخل السنوي، ويبقى مُدخَرًا، أعطِ نفسك ١٥ نقطة.
٢- إذا كنت تدخر ٥٪ أو أكثر من مجموع الدخل، أعطِ نفسك ٥ نقاط.
٣- إذا كنت تدخر ٣٪ أو أقل من الدخل السنوي، أعطِ نفسك نقطة واحدة.
الرصيد:
١- إذا كان لديك رصيد جيد، أعطِ نفسك ٥ نقاط.
٢- إذا تأخرت ٣ مرات عن سداد دين العام الماضي اخصم نقطة واحدة.
المنزل:
- إذا كنت تؤجر لمدة أكثر من ٥ سنوات، اخصم ١٠ نقاط.
الرهون:
- إذا كانت لديك رهن أقل من ٢٠٪ من مجموع الدخل السنوي، أعطِ نفسك ١٠ نقاط.
- إذا كانت الرهون أكثر من ٤٠٪ من الدخل السنوي، اخصم ٥ نقاط.
دين بالتقسيط:
- إذا لم يكن لديك أي ديون أو أقساط أضف ١٠ نقاط.
- إذا كانت لديك ديون بالتقسيط تزيد على ١٥٪ من الدخل السنوي، اخصم ٥ نقاط.
- التقاعد: إذا كنت تدخر لمرحلة التقاعد، أعطِ نفسك ١٠ نقاط.
الاستثمار:
- إذا كانت استثماراتك متنوعة، أعطِ نفسك ٣ نقاط.
نقاط إضافية:
- أعطِ نفسك ٥ نقاط إذا كان أولادك يعيشون في سعادة وصحة جيدة إلى حد ما.
تقدير الدرجات:
-٨٠٪ إلى أكثر: ممتاز، يعني أنك شخص اقتصادي عظيم، تنفق بحكمة وعقل وتدخر، وتقوم بكل شيء تريده وفق حدوده القصوى!
من ٦٥ إلى ٧٩: أنت في طريق التحسن، تقوم بأشياء كثيرة جيدة، ولكن يمكنك القيام بما هو أفضل!
- من ٥٠ إلى ٦٤: بعض الأشياء تسير على ما يرام، ولكن هناك بعض العلامات التحذيرية- انتبه إليها جيدًا.
- من ٣٠ إلى ٤٩: أنت تناضل على كثير من الجبهات، عليك التحرك حالًا قبل أن تسوء الأمور.
- من ١٠ إلى ٢٩: تحذير.. أنت في خطر وعلى وشك الإفلاس، اهـ. (امرأة بدرجة امتياز، شريف شحاتة، طبعة إبداع للطباعة والنشر ٢٠٠٨م).
استعد للأحداث التالية.
في أي وقت يمكنك أن تبدأ من جديد بترتيب الأشياء بشكل صحيح وتعيد تقييم أوضاعك المالية، لا تقل: إن الوقت قد فات، ابدأ ولا تقلق!
واعلم يا أخي الكريم بعد هذا العرض الموجز لمعرفة موقفك المالي أن الخلاصة:
أنه لا يوجد نظام أمثل للإدارة المالية، ولكن يوجد نظام أنسب لكل واحد حسب واقعه وظروفه ودخله..
وهذا الأمر قابل للتفاوض، مثال: منا من يجب أن يعطي المصروف أول الشهر، ولا يسأل عن أي شيء، ومنا من يعطي يومًا بيوم، ومنا من يشتري كل الأغراض، وهكذا.
إنني لا أستطيع أن أنصحك نصيحة واحدة عامة، فلك أن تنظم حياتك وتشرك معك زوجتك، جرب كل هذه الأنظمة وفق حالك وحسب زوجتك، وحسب دخلك، ولا تضيق على زوجتك، وحثها على الادخار، وكافئها إن هي ادخرت من المصروف شيئًا، وضاعفه لها.
وإن رأيتها تشتري أغراضًا شخصية أخبرها أن هذا حقها عليك، وأعطها ثمنه وقسم المصروف عشرة أيام، وعشرة أيام، وعشرة أيام، أو قسمها أسبوعًا أسبوعًا، أو اشتر أغراضك الأساسية ذات الأثمان الغالية، واترك لزوجتك بعض الماليات، ولا تسألها عن باقي المصروف لعلها تتصدق به، أو تنفقه على أهلها واتق الله في النساء وهذه إحدى نساء حديث أم زرع تصف زوجها بأنه إذا خرج أسد وإذا دخل فهد ولا يسأل عما عهد (من بقايا طعام أو صغائر الماليات أو بعض الملابس فلعلها تصدقت بها على أهلها وهكذا).
هذا ولا أعفي الزوجات من مشاركتهن في إدارة هذا الخلاف وحل إشكاله.
دمتم بخير وسعادة ومودة..
هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

قواعد وآداب في التعامل بين الشيوخ والشباب: الحلقة الثالثة

الحل الاجتماعي والنفسي لمشكلة العاطفة وتغلبها على الشباب

إعداد د. عبد الرحمن بن صالح الجيران

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد تحدثنا في مقالات سابقة عن العوامل التي تساعد الشباب على التغلب على العاطفة وما يتبعها من آثار قد تكون سلبية مؤثرة على شخصيتهم، وتكلمنا على هذه الآثار، ونتحدث اليوم عن الحل الاجتماعي لهذه المشكلة:

١- يرجع المختصون علاج هذه المشكلة لدى الشباب إلى وجود القدوة الحسنة أو المثال الطيب الذي يقتدى به والذي يقدم للشباب العون والنصح والإرشاد.

٢- توفير فرص التعبير عن الرأي، يقول المختصون في علم الاجتماع: إن عدم توفير فرص التنفيس والتعبير عن المشاعر نتيجة الصراع الذي يستشعره بين القيَم التي شبَّ عليها والتي تلقاها من الآباء وبين واقع الحياة الحديثة، ويعبر عن ذلك عادة بالصراع بين الأجيال والصراع بين القديم والحديث.

مراعاة فارق السن:

وهذا من الآداب المهمة في هذا الباب، وأعني مراعاة اختلاف الزمان بين جيل الشيوخ وجيل الشباب، بحيث يعلم الشاب أنه لا يمكن دائمًا حمل الناس على رأيه لا سيما إذا كانوا شيوخًا كبارًا، وعليه نقول: إن الشباب قبل أن يُقدم على الشيء عليه أن يقوم بعملية وزن وتقييم لتركه أو فعله في ضوء الكتاب والسنة، «لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» (الحجرات:١)، فإذا ظهر الفعل أو الترك مرضيًا مقبولاً موافقًا للكتاب والسنة ومنهج السلف انبعث في النفس رغبة فيه، واتجاه إليه ثم أقدم عليه، وإن كان الأمر خلاف ذلك انكمشت النفس عنه وكرهته وأحجمت عنه.

كيف يعمل الشاب في حال ورود الخلاف بين رأيين أو عالمين؟

وهنا تبرز أهمية الفهم فيما تلجلج في صدر الشباب من مسائل؛ فعليه أولاً التثبت ومعرفة ما يختلف فيه.

- قال صالح بن الإمام أحمد بن حنبل: سألت أبي عن الرجل يكون في القرية وقد روى الحديث ووردت عليه مسألة فيها أحاديث مختلفة. كيف يصنع؟ قال: لا يقل فيها شيئًا.

- وقال إسحاق بن إبراهيم لأبي عبد الله- يعني الإمام أحمد-: يكون الرجل في القرية فيسأل عن الشيء الذي فيه اختلاف؟

قال: يفتي بما يوافق الكتاب والسنة، وما لم يوافق الكتاب والسنة أمسك عنه، قيل له: فيخاف عليه؟ قال: لا.

فإن اجتمع أهل العلم على قول فلا يسعه الخروج عن أقوالهم؛ لقوله تعالى: «وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا» (النساء:١١٥).

فإن اختلفوا فقد قال الله تعالى: «فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» (النساء:٥٩)، وقوله: «وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ» (الشورى:١٠).

فإن اختلفت أدلة كل فريق وكل عنده دليل فليتبع الأفضل والأحسن؛ لقوله تعالى: «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ» (الزمر:١٨)، ولا يتكلف ما وراء ذلك.

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: من علمه الله علمًا فليعلمه الناس، وإياه أن يقول: ما لا علم له به، فيصير من المتكلفين ويمرق من الدين. (هذه الآثار أوردها

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي في «الآداب الشرعية والمنح المرعية»: (٥٢٠/١).

فهذه الآثار وغيرها كثير تقضي بأن لا يتكلف أحدٌ شيئًا في دين الله، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، فإذا كان عندك علم في المسألة فقل ولا تتكلف فيها، قال الله تعالى: « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا » (الإسراء:٣٦).

لما ذكرنا بعض مشكلات الشباب يجدر بنا هنا أن نذكر قاعدة مهمة تساهم مساهمة جادة في حل معضلات الشباب، وهي: كيف نراجع أقوال العلماء؟

متى نراجع العالم وكيف؟

إذا انقدح في ذهن الشاب شيء لا يدري أهو من الحق أو لا، أو شيء لا يدري أهو راجح أو مرجوح، أو إذا أشكل عليه قول العالم الرباني، فماذا يصنع؟

هنا لا بد من التروي وعدم العجلة بالإنكار دون تثبُّت، وخاصة في مواضع الاجتهاد والاحتمال، كما ينبغي الحذر من المعارضة لمجرد المعارضة ولكي يقال بأن فلانًا استدرك على العالم الفلاني خطأه وهكذا.

وعليه أقول لا بد من التدرج وملاحظة هذه الأمور: أولاً: تعرف موقع مسألتك في ميزان الشريعة هل هي من المسائل الكلية الواضحة أم الدقيقة التي تخفى.

ثانيًا: ثم انظر إلى مآلها بالنسبة لحال أهل الزمان من حيث العلم وعدمه ومن حيث المصلحة بذكرها أو عدمها.

ثالثًا: انظر إلى عقول الناس هل تتقبلها إما على سبيل العموم أو على سبيل الخصوص إذا كانت غير لائقة بعموم الناس، فهذا شأن السلف في ذلك.

أما إذا لم يكن لمسألتك مساغ فالسكوت خير في هذه الحال.

وليس معنى هذا أن طالب العلم يكتم علمًا في الشريعة وإنما هو مراعاة الحال ولكل مقام مقال.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنتُ ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار، فقال: «يا معاذ، هل تدري ما حق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟» قلتُ: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا». فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا». (البخاري: ١٢٧).

وقال علي رضي الله عنه: «حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذب الله ورسوله».

ومثله قول ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة». (مسلم: ١٤).

قال الحافظ: «وممن كره التحديث ببعض دون بعض: أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، ومن قبلهم أبو هريرة، كما تقدم عنه في حديث الجرابين وأن المراد ما يقع في الفتن.

ونحوه عن حذيفة، وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العُرَنيين؛ لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب، والله أعلم». (الصحيحة: ٢٩٩/٣).

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: وليعلم أنه ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره وإن كان من علم الشريعة ومما يفيد علمًا بالأحكام، بل ذلك ينقسم فمنه ما هو مطلوب النشر وهو غالب علم الشريعة، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص. اهـ. (الموافقات: ١٨٩/٤).

ويزيد الأمر وضوحًا بقوله: «إنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة فأعرضها في ذهنك على العقول فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم إن كانت مما تقبله العقول على العموم وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية». اهـ. (الموافقات ١٩١/٤).

فلو عمل الشباب بهذه القاعدة لأمكن القضاء على كثير من الإشكالات التي ترد على أقوال أهل العلم وبالتالي تحميل أقوال العلماء ما لا تحتمل.

وليس المراد من هذا ترك الاعتراض على العلماء بالكلية، بل المراد ترك الاعتراض في موضع الاحتمال والاجتهاد، وترك الاعتراض المقصود لذاته، وترك المبادرة إلى الاعتراض دون تثبت وتبين. (قواعد في التعامل مع العلماء، لعبد الرحمن اللويحق ص١٧٧).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.